أُمَّة اقْرَأْ.. أُمَّةُ أَتْقِنْ..

بَيْنَ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَعُلَمَاءِ الْفِتْنَةِ

جمعٌ وترتيبٌ

مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ رَسْلَانَ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

شَرَفُ الْعِلْمِ وَفَضْلُهُ:

*فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**»(١) وَأَصْلُ اللَّعْنِ: الطَّرْدُ، فَالدُّنْيَا مَطْرُودَةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا مَا اسْتَثْنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ، «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**».

الرَّسُولُ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ، وَأَنَّ النَّمْلَةَ فِي الْجُحْرِ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ.

وَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَرَفَ الْعِلْمِ وَفَضْلَهُ، مَغْرُوزًا فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، حَتَّىٰ إِنَّ الْجَاهِلَ الَّذِي يَعْلَمُ بِيَقِينٍ جَهْلَهُ، إِذَا وُصِفَ بِالْجَهْلِ غَضِبَ، وَإِذَا مَدَحَهُ أَحَدٌ بِمَا لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ فَرِحَ

---

(١) أخرجه الترمذي: (٤/ ٥٦١، رقم ٢٣٢٢)، وابن ماجه: (٢/ ١٣٧٧، رقم ٤١١٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وكذا حسنه الألباني في «الصحيحة»: (٦/ ٧٠٣، رقم ٢٧٩٧).

بَلْ فَطَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْبَهَائِمَ، مَجْبُولَةً عَلَىٰ احْتِرَامِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَيَّزَهُ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ، وَلَمْ يُسَوِّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَيْنَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، بَلْ قَدَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَلْبًا عَلَىٰ كَلْبٍ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ الْكَلْبَ الْمُعَلَّمَ تُعَلِّمُهُ مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فِي أُصُولِ الصَّيْدِ، إِذَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ الصَّيْدَ فَذَفَّفَ، فَلَكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ، ﴿... فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ...﴾ [المائدة:٤]

هَذَا فِي الْكَلْبِ الْمُعَلَّمِ، ﴿... تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ [المائدة:٤]

وَأَمَّا الْكَلْبُ الْجَاهِلُ فَلَوْ أَمْسَكَ عَلَيْكَ الصَّيْدَ فَمَاتَ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ هَذَا الَّذِي أَمْسَكَهُ عَلَيْكَ لِجَهْلِهِ، فَقَدَّمَ اللهُ كَلْبًا عَلَىٰ كَلْبٍ بِالْعِلْمِ!، وَفَضَّلَ اللهُ كَلْبًا عَلَىٰ كَلْبٍ بِالْعِلْمِ!

فَكَيْفَ بِالْبَشَرِ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَكَرَّمَهُمْ، وَسَخَّرَ لَهُمْ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ؟

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعِلْمَ فَارِقًا، فِي تَقْدِيمِ النَّاسِ دُنْيَا وَآخِرَةً، فَالْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَصِّلَ التَّقْوَىٰ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ، وَإِذَا كَانَ جَاهِلًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَيُبْغِضُهُ.

فَالْإِنْسَانُ لَا يَعْلَمُ مُرَادَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِالْعِلْمِ، فَقَدَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، فِي الْحَيَاةِ، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، وَفِي الْآخِرَةِ، حَتَّىٰ فِي الْقَبْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَدْفِنَ شُهَدَاءَ أُحُدٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ، فَلَمْ يَحْفُرْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَبْرًا، وَإِنَّمَا رُبَّمَا جَمَعَ الِاثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ.

فَكَانَ إِذَا جَمَعَ الِاثْنَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ سَأَلَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ حَمْلًا لِكِتَابِ اللهِ؟

فَإِذَا قِيلَ فُلَانٌ، قَدَّمَهُ فِي الْقَبْرِ، فَقَدَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَأَصْلُهُ، حَتَّىٰ فِي الْقَبْرِ، وَهُوَ يُقَدِّمُ أَيِ الْقُرْآنُ فِي الدُّنْيَا «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**»(١) وَفِي الْقَبْرِ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَفِي الْجَنَّةِ عَلَىٰ حَسَبِ الْمَنَازِلِ بِالْآيَاتِ، يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ- يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ- «اقْرَأْ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

فَقَدَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْعِلْمِ، وَأَخَّرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ أَخَّرَهُ بِالْجَهْلِ، وَالْعِلْمُ الَّذِي يُقَدَّمُ بِهِ الْمَرْءُ عِنْدَ اللهِ، هُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ، مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، بِفَهْمِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.(*).

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٤٦٥، رقم ٦٧٣)، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ،... » الحديث

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما.
والحديث حسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٤٠)، و «صحيح أبي داود» (١٣١٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ (لِمَاذَا نَطْلُبُ الْعِلْمَ؟) الْخَمِيسَ ١٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٣/ ٥/ ٢٠١٢م

الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَا يَحْرِصُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ:

* فَالْعِلْمُ مِنْ أَشْرَفِ مَا يُحْرَصُ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ أَشْرَفُ مَا يُحْرَصُ عَلَيْهِ، وَلَا يَتَمَيَّزُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْبَهِيمَةِ الْعَجْمَاءِ إِلَّا بِالْعِلْمِ، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْبَهِيمَةِ عَقْلًا، وَلَيْسَ بِمُطَالِبِهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ التَّكْلِيفِ، وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَهُوَ مُكَلَّفٌ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ، بِـ «افْعَلْ» وَ«لَا تَفْعَلْ»، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْ مُرَادَ اللهِ مِنْهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَابِدًا للهِ جَلَّوَعَلَا.(*).

*وَلَنْ تَعْلَمَ كَيْفَ تَعْبُدُ رَبَّكَ؟، إِلَّا بِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَنْ تَعْلَمَ كَيْفَ تُعَامِلُ الْخَلْقَ؟ حَتَّىٰ لَا تَتَوَرَّطَ فِي الرِّبَا وَلَا فِي الْغَصْبِ وَلَا فِي الرِّشْوَةِ، وَلَا فِي الِاخْتِلَاسِ، وَلَا فِيمَا يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فَيَنْبُتُ مِنْهُ لَحْمٌ مِنْ سُحْتٍ، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ وَالْأَوْلَادُ، لَنْ تَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعِلْمِ.

وَلَنْ تَعْلَمَ الْأَخْلَاقَ وَالسُّلُوكَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَالرَّجُلُ مَهْمَا عَلَا شَأْنُهُ وَارْتَفَعَ مِقْدَارُهُ، بِمَنْصِبٍ أَوْ بِمَالٍ أَوْ بِنَسَبٍ أَوْ بِجَاهٍ، وَلَمْ يُؤْتَ عِلْمًا، فَلَا قِيمَةَ لَهُ!

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (لِمَاذَا نَطْلُبُ الْعِلْمَ؟) الْخَمِيسَ ١٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٣/ ٥/ ٢٠١٢م

فَـإِنَّ كَبِيـرَ الْقَـوْمِ لَا عِلْـمَ عِنْـدَهُ صَـغِيرٌ إِذَا الْتَفَّـتْ عَلَيْـهِ الْمَحَافِـلُ (١)(*)

❁ ❁ ❁

(١) البيتان للإمام المجاهد عبد الله بن المبارك (المتوفي ١٨١ هـ) في «ديوانه» -تحقيق مجاهد مصطفىٰ بهجت، مجلة البيان: الرياض، الطبعة الرابعة (١٤٣٢ هـ) - (ص١٥٧)، وكذا عزاه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٦١٧، رقم ١٠٦٢)، وأخرجه ابن عساكر بإسناده في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٤٣، ترجمة ابن المبارك: ٣٥٥٥).

وقد نسب البيتان أيضا للإمام محمد بن إدريس الشافعي (المتوفي ٢٠٤ هـ) كما في «الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس» جمع محمد إبراهيم سليم (ص ١١٨)، ومعها بيت ثالث، وهو: (وإن صغير القوم إن كان عالما... كبيرٌ إذا رُدَّت إليه المحافلُ)، وفي البيت الثاني منه: [الْجحَافِلُ]، بدلا من: [المحافلُ]، ونسبا أيضا لعمر بن عبد العزيز (المتوفي ١٠١ هـ)، أخرجه ابن عساكر أيضا (٦٨/ ١٩٤ - ١٩٥، ترجمة ٩١٨٦)، ونسبا أيضا لأعربي أنشدهما للأصمعي، أخرجه ابن عساكر (٣٧/ ٦٢، ترجمة عبد الملك الأصمعي: ٤٢٤٧)، وذكرهما غير واحد بلا عزو، والله أعلم.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (لِمَاذَا نَطْلُبُ الْعِلْمَ؟) الْخَمِيسَ ١٢ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٣/ ٥/ ٢٠١٢م

بَيَانُ رِفْعَةِ شَأْنِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ:

*وَقَدْ تَضَافَرَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا لَا يُحْصَىٰ عِدَّةً، وَلَا يُسْتَقْصَىٰ كَثْرَةً، عَلَىٰ بَيَانِ رِفْعَةِ شَأْنِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَالتَّرْغِيبِ فِي النَّهَلِ مِنْ مَعِينِهِ الصَّافِي وَسَلْسَبِيلِهِ الْعَذْبِ الشَّافِي.(*).

أَوَّلًا: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [المجادلة:١١]

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ أَيْ: فِي الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ وَفِي الْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا، فَيَرْفَعُ اللهُ الْمُؤْمِنَ عَلَىٰ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَالْعَالِمَ عَلَىٰ مَنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَدَحَ اللهُ الْعُلَمَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ»(٢)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةِ الثَّانِيَةِ) بَابْ: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَرْبِعَاءَ ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٦/ ١/ ٢٠١٦م

(٢) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**»: (٨/ ٨٣)، وعزاه إلىٰ ابن المنذر.

وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُؤْتَوْا الْعِلْمَ [دَرَجَاتٍ]، أَي: دَرَجَاتٍ فِي دِينِهِمْ إِذَا فَعَلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ رَبَّهُمْ وَيَعْلَمُونَ دِينَهُ الشَّرْعِيَّ وَدِينَهُ الْجَزَائِيَّ، وَمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْحِكَمِ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؟ لَا يَسْتَوِي هَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ، كَمَا لَا يَسْتَوِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَالْمَاءُ وَالنَّارُ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ إِذَا ذُكِّرُوا ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: أَهْلُ الْعُقُولِ الزَّكِيَّةِ الذَّكِيَّةِ، فَهُمُ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ الْأَعْلَىٰ عَلَىٰ الْأَدْنَىٰ، فَيُؤْثِرُونَ الْعِلْمَ عَلَىٰ الْجَهْلِ، وَطَاعَةُ اللهِ عَلَىٰ مُخَالَفَتِهِ، لِأَنَّ لَهُمْ عُقُولًا تُرْشِدُهُمْ لِلنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ، بِخِلَافِ مَنْ لَا لُبَّ لَهُ وَلَا عَقْلَ، فَإِنَّهُ يَتَّخِذُ إِلَهَهُ هَوَاهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩]

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): يَقُولُ تَعَالَىٰ مُفَرِّقًا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَبَيْنَ ضِدِّهِمْ:

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٧٢٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤١٦).

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ فَفَهِمَ ذَلِكَ وَعَمِلَ بِهِ. ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ لَا يَعْلَمُ الْحَقَّ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ فَبَيْنَهُمَا مِنَ الْفَرْقِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَحَقِيقٌ بِالْعَبْدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ وَيَتَفَكَّرَ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحْسَنُ حَالًا وَخَيْرٌ مَآلًا فَيُؤْثِرُ طَرِيقَهَا وَيَسْلُكُ خَلْفَ فَرِيقِهَا، وَلَكِنْ مَا كُلُّ أَحَدٍ يَتَذَكَّرُ مَا يَنْفَعُهُ وَيَضُرُّهُ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ: أُولُو الْعُقُولِ الرَّزِينَةِ، وَالْآرَاءِ الْكَامِلَةِ، الَّذِينَ هُمْ لُبُّ الْعَالَمِ، وَصَفْوَةُ بَنِي آدَمَ.(*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]

(اقْرَأْ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ مُفْتَتِحًا وَمُسْتَعِينًا بِاسْمِ رَبِّكَ عَلَىٰ مَا تَتَحَمَّلُهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ، الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ، خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ قِطْعَةِ دَمٍ جَامِدٍ مُتَعَلِّقٍ بِالرَّحِمِ.

اقْرَأْ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ مِنْ كُلِّ كَرِيمٍ الَّذِي يَمُدُّكَ بِفُيُوضِ الْمَعَارِفِ فَوْقَ حُدُودِ الْمَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْأَلْفَاظُ الْمَكْتُوبَةُ.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ، عَلَّمَ الْإِنْسَانِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ وَالْهِدَايَةِ وَالْبَيَانِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ كَالْإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ لِلْأَشْيَاءِ عَنْ طَرِيقِ حَوَاسِّهِ الظَّاهِرَةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةَ الثَّانِيَةَ) بَابْ: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَرْبِعَاءِ ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٦/ ١/ ٢٠١٦م

وَالْبَاطِنَةِ وَالْإِدْرَاكِ الْعَقْلِيِّ الْقَائِمِ عَلَىٰ الْأُصُولِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي فَطَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهَا.(*).

*قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر ٢٨]

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، فَكُلُّ مَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْلَمَ، كَانَ أَكْثَرَ لَهُ خَشْيَةً، وَأَوْجَبَتْ لَهُ خَشْيَةُ اللهِ الِانْكِفَافَ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالِاسْتِعْدَادَ لِلِقَاءِ مَنْ يَخْشَاهُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَىٰ خَشْيَةِ اللهِ، وَأَهْلُ خَشْيَتِهِ هُمْ أَهْلُ كَرَامَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ كَامِلُ الْعِزَّةِ، وَمِنْ عِزَّتِهِ خَلْقُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُتَضَادَّاتِ.

﴿غَفُورٌ﴾ لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةَ الْعَلَقِ الْخَمِيسَ ٢١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٣/ ١٢/ ٢٠١٥م

(٢) «**تيسير الكريم الرحمن**»: (ص٦٨٨).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةَ الثَّانِيَةَ) بَابْ: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَرْبِعَاءِ ٢٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٦/ ١/ ٢٠١٦م

*قَالَ ابْنُ رَجَبٍ(١): «الْعِلْمُ النَّافِعُ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ كُلِّهَا ضَبْطُ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمُ مَعَانِيهَا وَالتَّقَيُّدُ فِي ذَلِكَ بِالْمَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفِيمَا وَرَدَ عَنْهُمْ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَسَائِلِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالِاجْتِهَادِ فِي تَمْيِيزِ صَحِيحِهِ مِنْ سَقِيمِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ الِاجْتِهَادِ عَلَىٰ الْوُقُوفِ عَلَىٰ مَعَانِيهِ وَتَفَهُّمِهِ ثَانِيًا، وَفِي ذَلِكَ كِفَايَةٌ لِمَنْ عَقَلَ، وَشُغْلٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ عُنِيَ وَاشْتَغَلَ».(*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

(فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَجْعَلَ لِهَذِه الْمَجَارِي الْعَظِيمَةِ وَالْمَرَائِي الْكَرِيمَةِ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ الزِّينَةَ لِصَفْحَتِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَلِلسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلِلْبِحَارِ الْهَادِرَةِ بِأَمْوَاهِهَا وَأَمْوَاجِهَا وَلِلصَّحَارِي الْمُتَرَامِيَةِ بِرِمَالِهَا وَكُثْبَانِهَا وَكَذَلِكَ لِلْخَلَائِقِ وَالْمَخْلُوقَاتِ فِي تَنَوُّعِهَا وَفِي مَظَاهِرِهَا.

عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَجْعَلَ لِهَذِهِ كُلِّهَا حَظًّا وَنَصِيبًا مِنَ النَّظَرِ، فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

---

(١) «**فضل علم السلف علىٰ الخلف**» ضمن مجموع رسائل ابن رجب: (٣/ ٢٦ - ٢٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، مُقَدَّمَةٌ وَالْبَابُ الْأَوَّلُ: بَيَانُ مَا هُوَ الْعِلْمُ الْفَرْضُ الْمُحَاضَرَةُ (١) الثُّلَاثَاءَ ٢٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٥/ ١/ ٢٠١٦م

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعَقْلَ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنُّهَىٰ هَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَهَذَا حَالُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.(*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَهْلُ الذِّكْرِ: أَهْلُ الْقُرْآنِ وَقِيلَ: أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْمَعْنَىٰ مُتَقَارِبٌ»

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(٣): «أَمَرَ سُبْحَانَهُ بِسُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ أَقْوَالِهِمْ وَجَعَلَ ذَلِكَ كَالشَّهَادَةِ مِنْهُمْ، فَقَالَ::﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]

وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ».

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٤): «يَقُولُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ أَيْ: لَسْتَ بِبِدْعٍ مِنَ الرُّسُلِ، فَلَمْ نُرْسِلْ قَبْلَكَ مَلَائِكَةً بَلْ رِجَالًا كَامِلِينَ لَا نِسَاءً.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ(مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ) سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ(٥) الْأَرْبِعَاءِ ٧ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢٤/ ٦/ ٢٠١٥م

(٢) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٠/ ١٠٨).

(٣) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ١٣٤).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤٤١).

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ مَا هُوَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ عَلَىٰ الْعَبِيدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ أَيْ: الْكُتُبَ السَّابِقَةَ.

﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ نَبَأَ الْأَوَّلِينَ، وَشَكَكْتُمْ هَلْ بَعَثَ اللهُ رِجَالًا؟ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ بِذَلِكَ الَّذِينَ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ الزُّبُرُ وَالْبَيِّنَاتُ فَعَلِمُوهَا وَفَهِمُوهَا، فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ أَنَّ اللهَ مَا بَعَثَ إِلَّا رِجَالًا يُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ، وَعُمُومُ هَذِهِ الْآيَةِ فِيهَا مَدْحُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنَّ أَعْلَىٰ أَنْوَاعِهِ الْعِلْمُ بِكِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ.

فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ، وَفِي ضِمْنِهِ تَعْدِيلٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَتَزْكِيَةٌ لَهُمْ حَيْثُ أَمَرَ بِسُؤَالِهِمْ، وَأَنَّ بِذَلِكَ يَخْرُجُ الْجَاهِلُ مِنَ التَّبِعَةِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ ائْتَمَنَهُمْ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِتَزْكِيَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَالِاتِّصَافِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ.

وَأَفْضَلُ أَهْلِ الذِّكْرِ أَهْلُ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَأَوْلَىٰ مِنْ غَيْرِهِمْ بِهَذَا الِاسْمِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ أَيْ: الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ ذِكْرُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ وَهَذَا شَامِلٌ لِتَبْيِينِ أَلْفَاظِهِ وَتَبْيِينِ مَعَانِيهِ، ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِيهِ فَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْ كُنُوزِهِ وَعُلُومِهِ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِمْ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (فَضْلُ الْعِلْمِ) ص٤٨-٤٩

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَمَا يَفْهَمُهَا وَيَتَدَبَّرُهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الْمُتَضَلِّعُونَ مِنْهُ»

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبِي، [حَدَّثَنَا سِنَان بن عَمْرِو بْن مُرَّةَ](٣) قَالَ: مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَا أَعْرِفُهَا إِلَّا أَحْزَنَنِي، لِأَنِّي سَمِعْتُ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾»

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ أَمْثَالِهِ الَّتِي يَضْرِبُهَا لِعِبَادِهِ يَدُلُّهُمْ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهَا الْمُخْتَصُّونَ بِعِلْمِهَا فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾

وَفِي الْقُرْآنِ بِضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَثَلًا

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا مَرَّ بِمَثَلٍ لَا يَفْهَمُهُ يَبْكِي وَيَقُولُ لَسْتُ مِنَ الْعَالِمِينَ»

---

(١) «تفسير القرآن الكريم»: (٦/ ٢٧٩).

(٢) «التفسير»: (٩/ ٣٠٦٤، رقم ١٧٣٢٧)، وأخرجه أيضا القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»: (ص٩٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (٥/ ٩٥)، والمُسْتَغْفِرِيُّ في «فضائل القرآن»: (٢٧٤).

(٣) تصحيف، والصواب: [أَبُو سِنَانٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ].

(٤) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ١٣٨).

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الْأَمْثَالُ فِي الْقُرْآنِ يَضْرِبُهَا اللهُ لِلنَّاسِ تَنْبِيهًا لَهُمْ، وَتَقْرِيبًا لِمَا بَعُدَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ

وَما يَعْقِلُها أَيْ: يَفْهَمُهَا وَيَتَعَقَّلُ الْأَمْرَ الَّذِي ضَرَبْنَاهَا لِأَجْلِهِ إِلَّا الْعالِمُونَ بِاللهِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، الْمُتَدَبِّرُونَ، الْمُتَفَكِّرُونَ لِمَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِم ويشاهدونه».(*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنَا عَنْ صَفِيِّهِ وَكَلِيمِهِ الَّذِي كَتَبَ لَهُ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَكَلَّمَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ رَحَلَ إِلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ يتعَلَّمُ مِنْهُ وَيَزْدَادُ عِلْمًا إِلَىٰ عِلْمِهِ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠] حِرْصًا مِنْهُ عَلَىٰ لِقَاءِ هَذَا الْعَالِمِ وَعَلَىٰ التَّعَلُّمِ مِنْهُ فَلَمَّا لَقِيَهُ سَلَكَ مَعَه مَسْلَكَ الْمُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ وَقَالَ لَهُ:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فَبَدَأَهُ بَعْدَ السَّلَامِ بِالِاسْتِئْذَانِ عَلَىٰ مُتَابَعَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَتْبَعُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَقَالَ:﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فَلَمْ يَجِئْ مُمْتَحِنًا وَلَا مُتَعَلِّمًا وَإِنَّمَا جَاءَ مُتَعَلِّمًا مُسْتَزِيدًا عِلْمًا إِلَىٰ عِلْمِهِ

---

(١) «فتح القدير»: (٤/ ٢٣٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (فَضْلُ الْعِلْمِ) ص٥١-٥٢

(٣) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ١٥٠).

وَكَفَىٰ بِهَذَا فَضْلًا وشَرَفًا لِلْعِلْمِ فَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ وَكَلِيمَهُ سَافَرَ وَرَحَلَ حَتَّىٰ لَقِيَ النَّصَبَ مِنْ سَفَرِهِ فِي تَعَلُّمِ ثَلَاثِ مَسَائِلَ مِنْ رَجُلٍ عَالِمٍ وَلمَّا سَمِعَ بِهِ لَمْ يَقَرَّ لَهُ قَرَارٌ حَتَّىٰ لَقِيَهُ وَطلَبَ مِنْهُ مُتَابَعَتَهُ وَتَعْلِيمَهُ»

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

فِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْأُولَىٰ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ هَذَا سُؤَالُ الْمُلَاطِفِ، وَالْمُخَاطِبِ الْمُسْتَنْزِلِ الْمُبَالِغِ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ، والْمَعْنَىٰ: هَلْ يَتَّفِقُ لَكَ وَيَخِفُّ عَلَيْكَ؟

الثَّانِيَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ تَبَعٌ لِلْعَالِمِ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ الْمَرَاتِبُ، وَلَا يُظَنُّ أَنَّ فِي تَعَلُّمِ مُوسَىٰ مِنَ الْخَضِرِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْخَضِرَ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ يَشِذُّ عَنِ الْفَاضِلِ مَا يَعْلَمُهُ الْمَفْضُولُ، وَالْفَضْلُ لِمَنْ فَضَّلَهُ اللهُ، فَالْخَضِرُ إِنْ كَانَ وَلِيًّا فَمُوسَىٰ أَفْضَلُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ نَبِيٌّ وَالنَّبِيُّ أَفْضَلُ مِنَ الْوَلِيِّ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَمُوسَىٰ فَضْلُهُ بِالرِّسَالَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ»

وَاسْتَدَلَّ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١١/ ١٧).

عَلَىٰ أَنَّ مِنَ الْفِقْهِ الرِّحْلَةَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَقَالَ(١): «فِي هَذَا مِنَ الْفِقْهِ: رِحْلَةُ الْعَالِمِ فِي طَلَبِ الِازْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعَانَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْخَادِمِ وَالصَّاحِبِ وَاغْتِنَامِ لِقَاءِ الْفُضَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَإِنْ بَعِدَتْ أَقْطَارُهُمْ وَذَلِكَ كَانَ دَأْبَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ وَصَلَ الْمُرْتَحِلُونَ إِلَىٰ الْحَظِّ الرَّاجِحِ وَحَصَلُوا عَلَىٰ السَّعْيِ النَّاجِحِ، فَرَسَخَتْ لَهُمْ فِي الْعُلُومِ أَقْدَامٌ وَصَحَّ لَهُمْ مِنَ الذِّكْرِ وَالْأَجْرِ وَالْفَضْلِ أَفْضَلُ الْأَقْسَامِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ(٢): وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي حَدِيثٍ»

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]

يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ قِيلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ وَهُوَ الْخَضِرُ، الَّذِي خَصَّهُ اللهُ بِعِلْمٍ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ مُوسَىٰ، كَمَّا أَنَّهُ أَعْطَىٰ مُوسَىٰ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطِهِ الْخَضِرَ.

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ سُؤَالُ تَلَطُّفٍ لَا عَلَىٰ وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِجْبَارِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١١/ ١١).

(٢) «الصحيح»: كتاب العلم: بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، (١/ ١٧٣).

(٣) «تفسير القرآن الكريم»: (٥/ ١٨١).

وَقَوْلُهُ: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ أَيْ: أَصْحَبُكَ وَأُرَافِقُكَ ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أَيْ: مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ شَيْئًا أَسْتَرْشِدُ بِهِ فِي أَمْرِي مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ»

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(١): «يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشِدَّةِ رَغْبَتِهِ فِي الْخَيْرِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ، أَنَّهُ قَالَ لِفَتَاهُ - أَيْ: خَادِمِهِ الَّذِي يُلَازِمُهُ فِي حَضَرِهِ وَسَفَرِهِ، وَهُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ الَّذِي نَبَّأَهُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ:- ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾.

أَيْ: لَا أَزَالُ مُسَافِرًا وَإِنْ طَالَتْ عَلَيَّ الشُّقَّةُ، وَلَحِقَتْنِي الْمَشَقَّةُ، حَتَّىٰ أَصِلَ إِلَىٰ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ الْعَالَمِينَ، عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، مَا لَيْسَ عِنْدَكَ، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أَيْ: مَسَافَةً طَوِيلَةً

الْمَعْنَىٰ: أَنَّ الشَّوْقَ وَالرَّغْبَةَ، حَمَلَ مُوسَىٰ أَنْ قَالَ لِفَتَاهُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَهَذَا عَزْمٌ مِنْهُ جَازِمٌ، فَلِذَلِكَ أَمْضَاهُ.

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ الْجَلِيلَةِ، مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَحْكَامِ وَالْقَوَاعِدِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، نُنَبِّهُ عَلَىٰ بَعْضِهِ بِعَوْنِ اللهِ.

فَمِنْهَا فَضِيلَةُ الْعِلْمِ، وَالرِّحْلَةُ فِي طَلَبِهِ، وَأَنَّهُ أَهَمُّ الْأُمُورِ، فَإِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحَلَ مَسَافَةً طَوِيلَةً، وَلَقِيَ النَّصَبَ فِي طَلَبِهِ، وَتَرَكَ الْقُعُودَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِتَعْلِيمِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ، وَاخْتَارَ السَّفَرَ لِزِيَادَةِ الْعِلْمِ عَلَىٰ ذَلِكَ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤٨١).

وَمِنْهَا: الْبَدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، فَإِنَّ زِيَادَةَ الْعِلْمِ وَعِلْمَ الْإِنْسَانِ أَهَمُّ مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ، وَالِاشْتِغَالِ بِالتَّعْلِيمِ مِنْ دُونِ تَزَوُّدٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَكْمَلُ.

وَمِنْهَا: التَّأَدُّبُ مَعَ الْمُعَلِّمِ، وَخِطَابُ الْمُتَعَلِّمِ إِيَّاهُ أَلْطَفَ خِطَابٍ، لِقَوْلِ مُوسَىٰ عليه السلام:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ بِصُورَةِ الْمُلَاطِفَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ، وَأَنَّكَ هَلْ تَأْذَنُ لِي فِي ذَلِكَ أَمْ لَا؟ وَإِقْرَارُهُ بِأَنَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ، بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَفَاءِ أَوِ الْكِبْرِ، الَّذِي لَا يَظْهَرُ لِلْمُعَلِّمِ افْتِقَارُهُمْ إِلَىٰ عِلْمِهِ، بَلْ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَتَعاوَنُ هُمْ وِإِيَّاهُ، بَلْ رُبَّمَا ظَنَّ أَنَّهُ يُعَلِّمُ مُعَلِّمَهُ، وَهُوَ جَاهِلٌ جِدًّا، فَالذُّلُّ لِلْمُعَلِّمِ، وَإِظْهَارُ الْحَاجَةِ إِلَىٰ تَعْلِيمِهِ، مِنْ أَنْفَعِ شَيْءٍ لِلْمُتَعَلِّمِ.

وَمِنْهَا تَوَاضُعُ الْفَاضِلِ لِلتَّعَلُّمِ مِمَّنْ دُونَهُ، فَإِنَّ مُوسَىٰ -بِلَا شَكٍّ- أَفْضَلُ مِنَ الْخَضِرِ.

وَمِنْهَا: تَعَلُّمُ الْعَالِمِ الْفَاضِلِ لِلْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَتَمَهَّرْ فِيهِ، مِمَّنْ مَهَرَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ.

فَإِنَّ مُوسَىٰ عليه السلام مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، الَّذِين مَنَحَهُمُ اللهُ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُعْطِ سِوَاهُمْ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الْعِلْمِ الْخَاصِّ كَانَ عِنَد الْخَضِرِ، مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَلِهَذَا حَرَصَ عَلَىٰ التَّعَلُّمِ مِنْهُ.

فَعَلَىٰ هَذَا، لَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ الْمُحَدِّثِ، إِذَا كَانَ قَاصِرًا فِي عِلْمِ النَّحْوِ، أَوِ الصَّرْفِ، أَوْ نَحْوِهِ مِنَ الْعُلُومِ، أَنْ لَا يَتَعَلَّمَهُ مِمَّنْ مَهَرَ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَدِّثًا وَلَا فَقِيهًا.

وَمِنْهَا: إِضَافَةُ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ للهِ تَعَالَىٰ، وَالْإِقْرَارُ بِذَلِكَ، وَشُكْرُ اللهِ عَلَيْهَا لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ أَيْ: مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ تَعَالَىٰ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ، هُوَ الْعِلْمُ الْمُرْشِدُ إِلَىٰ الْخَيْرِ، فَكُلُّ عِلْمٍ يَكُونُ فِيهِ رُشْدٌ وَهِدَايَةٌ لِطَرِيقِ الْخَيْرِ، وَتَحْذِيرٌ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِّ، أَوْ وَسِيلَةٌ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ضَارًّا، أَوْ لَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾

وَمِنْهَا: أَنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ قُوَّةُ الصَّبْرِ عَلَىٰ صُحْبَةِ الْعَالِمِ وَالْعِلْمِ، وَحُسْنِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِتَلَقِّي الْعِلْمِ، فَمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَ الصَّبْرَ وَلَازَمَهُ، أَدْرَكَ بِهِ كُلَّ أَمْرٍ سَعَىٰ فِيهِ، لِقَوْلِ الْخَضِرِ - يَعْتَذِرُ مِنْ مُوسَىٰ بِذِكْرِ الْمَانِعِ لِمُوسَىٰ مِنَ الْأَخْذِ عَنْهُ- إِنَّهُ لَا يَصْبِرُ مَعَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ السَّبَبَ الْكَبِيرَ لِحُصُولِ الصَّبْرِ، إِحَاطَةُ الْإِنْسَانِ عِلْمًا وَخِبْرَةً، بِذَلِكَ الْأَمْرِ، الَّذِي أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَالَّذِي لَا يَدْرِيهِ، أَوْ لَا يَدْرِي غَايَتَهُ ولَا نَتِيجَتَهُ، وَلَا فَائِدَتَهُ وَثَمَرَتَهُ لَيْسَ عِنْدَهُ سَبَبُ الصَّبْرِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] فَجَعَلَ الْمُوجِبَ لِعَدَمِ صَبْرِهِ، وَعَدَمِ إِحَاطَتِهِ خَبَرًا بِالْأَمْرِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمُعَلِّمَ إِذَا رَأَىٰ الْمَصْلَحَةَ فِي إِيزَاعِهِ لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَتْرُكَ الِابْتِدَاءَ فِي السُّؤَالِ عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْمُعَلِّمُ هُوَ الَّذِي يُوقِفُهُ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الْمَصْلَحَةَ تُتَّبَعُ، كَمَا إِذَا كَانَ فَهْمُهُ قَاصِرًا، أَوْ نَهَاهُ عَنِ الدَّقِيقِ فِي

سُؤَالِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي غَيْرُهَا أَهَمُّ مِنْهَا، أَوْ لَا يُدْرِكُهَا ذِهْنُهُ، أَوْ يَسْأَلُ سُؤَالًا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضِعِ الْبَحْثِ». (*).

*وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢): «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَخْبَرَ مَلَائِكَتَهُ بِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا لَهُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٠-٣٢] إِلَىٰ آخِرِ قِصَّةِ آدَمَ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَأَبَىٰ إِبْلِيسُ فَلَعَنَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنَ السَّمَاءِ

وَبَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ مِنْ هَذِه الْقِصَّةِ مِنْ وُجُوهٍ

أَحَدُهَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ رَدَّ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ لَمَّا سَأَلُوهُ كَيفَ يَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ مَنْ هُمْ أَطْوَعَ لَهُ مِنْهُ فَقَالَ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فَأَجَابَ سُؤَالَهُمْ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ بَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَحَقَائِقِهَا مَا لَا يَعْلَمُونَهُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فَظَهَرَ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ (فَضْلُ الْعِلْمِ) ص٥٥-٥٨

(٢) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ١٤١).

مِنْ خِيَارِ خَلْقِهِ وَرُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَصَالِحِي عِبَادِهِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَطَبَقَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَظَهَرَ مِنْ إِبْلِيسَ مَنْ هُوَ شَرُّ الْعَالَمِينَ فَأَخْرَجَ سُبْحَانَهُ هَذَا وَهَذَا وَالْمَلَائِكَةُ لَمْ يَكُنْ لَهَا عِلْمٌ لَا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا وَلَا بِمَا فِي خَلْقِ آدَمَ وَإِسْكَانِهِ الْأَرْضَ مِنَ الْحِكَمِ الْبَاهِرَةِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَرَادَ إِظْهَارَ تَفْضِيلِ آدَمَ وَتَمْيِيزِهِ وَفَضْلِهِ مَيَّزَهُ عَلَيْهِمْ بِالْعِلْمِ فَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ:﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا هُوَ أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنَّا فَظَنُّوا أَنَّهُمْ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنَ الْخَلِيفَةِ الَّذِي يَجْعَلُهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ فَلَمَّا امْتَحَنَهُمْ بِعِلْمِ مَا عَلَّمَهُ لِهَذَا الْخَلِيفَةِ أَقَرُّوا بِالْعَجْزِ وَجَهْلِ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ فَقَالُوا:﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فَحِينَئِذٍ أَظْهَرَ لَهُمْ فَضْلَ آدَمَ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ فَقَالَ:﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ أَقَرُّوا لَهُ بِالْفَضْلِ

الثَّالِثُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَنْ عَرَّفَهُمْ فَضْلَ آدَمَ بِالْعِلْمِ وَعَجْزَهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا عَلَّمَهُ قَالَ لَهُمْ:﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [البقرة:٣٣].

فَعَرَّفَهُمْ سُبْحَانَهُ نَفسَهُ بِالْعِلْمِ وَأَنَّهُ أَحَاطَ عِلْمًا بِظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ وَبِغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِصِفَةِ الْعِلْمِ وَعَرَّفَهُمْ فَضْلَ نَبِيِّهِ وَكَلِيمِهِ بِالْعِلْمِ وَعَجْزَهُمْ عَمَّا آتَاهُ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ وَكَفَىٰ بِهِ شَرَفًا لِلْعِلْمِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ فِي آدَمَ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَا كَانَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يُظْهِرَ لِمَلَائِكَتِهِ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ فَأَظْهَرَ لَهُمْ أَحْسَنَ مَا فِيهِ وَهُوَ عِلْمُهُ فَدلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ وَأَنَّ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ»

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَنۢبِـُٔهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾[1]: «فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَضْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ**[2]»[3] أَيْ تَخْضَعُ وَتَتَوَاضَعُ وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَهْلِ

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٢) «وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا... »: بيان حرمة طالب العلم عند الله ﷻ وعظم منزلته، وفي معناها ثلاثة أوجه، ذكرها الخطابي في «معالم السنن»: (١/ ٦١) فقال:

«أحدها: أن يكون معنىٰ وضع الجناح من الملائكة بسط أجنحتها وفرشها لطالب العلم لتكون وطاءً له ومعونة إذا مشىٰ في طلب العلم.

والوجه الثاني: أن يكون ذلك بمعنىٰ التواضع من الملائكة تعظيما لحقه وتوقيرا لعلمه فتضم أجنحتها له وتخفضها عن الطيران كقوله ﷻ: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

والوجه الثالث: أن يكون وضع الجناح يراد به النزول عند مجالس العلم والذكر وترك الطيران كما روي أنه قال ﷺ قال: «ما من قوم يذكرون الله ﷻ إلاّ حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»» اهـ.

(٣) أخرجه أبو داود: (٣/ ، رقم ٣٦٤١)، والترمذي: (٥/ ٤٨ - ٤٩، رقم ٢٦٨٢)، وابن ماجه: (١/ ٨١ و ٨٧، رقم ٢٢٣ و ٢٣٩).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٣٨، رقم ٧٠).

الْعِلْمِ خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ سَائِرِ عُمَّالِ اللهِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَلْزَمَهَا ذَلِكَ فِي آدَمَ عليه السلام فَتَأَدَّبَتْ بِذَلِكَ الْأَدَبِ.

فَكُلَّمَا ظَهَرَ لَهَا عِلْمٌ فِي بَشَرٍ خَضَعَتْ لَهُ وَتَوَاضَعَتْ وَتَذَلَّلَتْ إِعْظَامًا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَرِضًا مِنْهُمْ بِالطَّلَبِ لَهُ وَالشُّغْلِ بِهِ. هَذَا فِي الطُّلَّابِ مِنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْأَحْبَارِ فِيهِمْ وَالرَّبَّانِيِّينَ مِنْهُمْ! جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ وَفِيهِمْ، إِنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ»

وَقَالَ السَّعْدِيُّ رحمه الله(١): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٠-٣٤]

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ؛ إِثْبَاتُ الْكَلَامِ للهِ تَعَالَىٰ وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا؛ يَقُولُ مَا شَاءَ؛ وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ؛ وَأَنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَفِيهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَفِيَتْ عَلَيْهِ حِكْمَةُ اللهِ فِي بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمَأْمُورَاتِ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ التَّسْلِيمُ وَاتِّهَامُ عَقْلِهِ وَالْإِقْرَارُ للهِ بِالْحِكْمَةِ، وَفِيهِ اعْتِنَاءُ اللهِ بِشَأْنِ الْمَلَائِكَةِ وَإِحْسَانُهُ بِهِمْ بِتَعْلِيمِهِمْ مَا جَهِلُوا وَتَنْبِيهِهِمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ.

وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّ اللهَ تَعَرَّفَ لِمَلَائِكَتِهِ؛ بِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ عَرَّفَهُمْ فَضْلَ آدَمَ بِالْعِلْمِ؛ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ صِفَةٍ تَكُونُ فِي الْعَبْدِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ أَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ؛ إِكْرَامًا لَهُ؛ لَمَّا بَانَ فَضْلُ عِلْمِهِ.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٤٨).

وَمِنْهَا: أَنَّ الِامْتِحَانَ لِلْغَيْرِ؛ إِذَا عَجَزُوا عَمَّا امْتُحِنُوا بِهِ؛ ثُمَّ عَرَفَهُ صَاحِبَ الْفَضِيلَةِ؛ فَهُوَ أَكْمَلُ مِمَّا عَرَفَهُ ابْتِدَاءً.

وَمِنْهَا: الِاعْتِبَارُ بِحَالِ أَبَوَيِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَبَيَانُ فَضْلِ آدَمَ وَأَفْضَالِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُ». (*).

ثَانِيًا: بَيَانُ: فَضْلُ الْعِلْمِ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي حَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: مَا كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ غَيْرُهُ؟.

قَالَ: لَا.

قَالَ: وَلَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ؟

قَالَ: لَا.

قَالَ: وَلَا جِئْتَ إِلَّا فِيهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رضًا بما**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(فَضْلُ الْعِلْمِ) ص٦٠-٦٣

يصنع، وَإِنَّ العالم لَيَسْتَغْفِرُله مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ و من فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَه أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**(٢)

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٣): «أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيثِ وَمَقْصُودُهُ فَهُوَ تَمْثِيلُ الْهُدَىٰ الَّذِي جَاءَ بِهِ ﷺ بِالْغَيْثِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْأَرْضَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ، وَكَذَلِكَ النَّاسُ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَفِعُ بِالْمَطَرِ فَيَحْيَىٰ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَيْتًا وَيُنْبِتُ الْكَلَأَ فَتَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَالزَّرْعُ وَغَيْرُهَا وَكَذَا النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنَ النَّاسِ يَبْلُغُهُ الهدىٰ وَالْعِلْمُ فَيَحْفَظُهُ فَيَحْيَا قَلْبُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ غَيْرَهُ فَيَنْتَفِعُ وَيَنْفَعُ.

---

(١) أخرجه أبو داود: (٣/ ، رقم ٣٦٤١)، والترمذي: (٥/ ٤٨ - ٤٩، رقم ٢٦٨٢)، وابن ماجه: (١/ ٨١ و ٨٧، رقم ٢٢٣ و ٢٣٩).

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٣٨، رقم ٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ١٧٥، رقم ٧٩)، ومسلم: (٤/ ١٧٨٧ - ١٧٨٨، رقم ٢٢٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم: (١٥/ ٤٧-٤٨).

وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَرْضِ: ما لا تَقْبَلُ الِانْتِفَاعَ فِي نَفْسِهَا لَكِنْ فِيهَا فَائِدَةٌ وَهِيَ إِمْسَاكُ الْمَاءِ لِغَيْرِهَا فَيَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ وَكَذَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ النَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ، لَكِنْ لَيْسَتْ لَهُمْ أَفْهَامٌ ثَاقِبَةٌ، وَلَا رُسُوخَ لَهُمْ فِي الْعَقْلِ يَسْتَنْبِطُونَ بِهِ الْمَعَانِيَ وَالْأَحْكَامَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمُ اجْتِهَادٌ فِي الطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَهُمْ يَحْفَظُونَهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ طَالِبٌ مُحْتَاجٌ مُتَعَطِّشٌ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَهْلٌ لِلنَّفْعِ وَالِانْتِفَاعِ فَيَأْخُذَهُ مِنْهُمْ فَيَنْتَفِعَ بِهِ فَهَؤُلَاءِ نَفَعُوا بِمَا بَلَغَهُمْ.

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَرْضِ: السِّبَاخُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ وَنَحْوُهَا فَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ وَلَا تُمْسِكُهُ لِيَنْتَفِعَ بِهَا غَيْرُهَا وَكَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنَ النَّاسِ لَيْسَتْ لَهُمْ قُلُوبٌ حَافِظَةٌ وَلَا أَفْهَامٌ وَاعِيَةٌ فَإِذَا سَمِعُوا الْعِلْمَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ وَلَا يَحْفَظُونَهُ لِنَفْعِ غَيْرِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ:

مِنْهَا: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ

وَمِنْهَا: فَضْلُ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَشِدَّةُ الْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَذَمُّ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْعِلْمِ وَاللهُ أَعْلَمُ.(*).

*وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةُ ٥) ثَانِيًا: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الْأَحَدَ ٣٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧ه الْمُوَافِقَ ١٠/١/٢٠١٦م

قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟

قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(١)

لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ: لِيَكُنِ الْعِلْمُ هَنِيئًا لَكَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «قَوْلُهُ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ فِيهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِأُبَيٍّ وَدَلِيلٌ عَلَىٰ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَفِيهِ تَبْجِيلُ الْعَالِمِ فُضَلَاءَ أَصْحَابِهِ وَتَكْنِيَتُهُمْ وَجَوَازُ مَدْحِ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ يُخَفْ عَلَيْهِ إِعْجَابٌ وَنَحْوُهُ لِكَمَالِ نَفْسِهِ وَرُسُوخِهِ فِي التَّقْوَىٰ.(*).

*عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ معلم النَّاس الْخَيْر**». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ(٤)

---

(١) أخرجه مسلم: (١/ ٥٥٦، رقم ٨١٠).

(٢) شرح صحيح مسلم: (٦/ ٩٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةُ ٧) ثَانِيًا:تَتِمَّةُ بَيَانِ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الثُّلَاثَاءَ ٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٢/ ١/ ٢٠١٦م

(٤) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣، ٢٣٩)، وأحمد =

وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ(١): وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ مُخْتَصَرًا قَالَ: «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ»(٢)

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «قِيلَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَلْهَمَ الْحِيتَانَ وَغَيْرَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ الاسْتِغْفَارَ لِلْعُلَمَاءِ، لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ بَيَّنُوا الْحُكْمَ فِيمَا يَحِلُّ مِنْهَا وَيَحْرُمُ لِلنَّاسِ، فَأَوْصَوْا بِالإِحْسَانِ إِلَيْهَا، وَنَفْيِ الضَّرَرِ عَنْهَا، مُجَازَاةً لَهُمْ عَلَىٰ حُسْنِ صَنِيعِهِمْ.

وَفَضْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ نَفْعَ الْعِلْمِ يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ الخلق كافة، وَفِيهِ إِحْيَاءُ الدِّينِ، وَهُوَ تِلْوُ النُّبُوَّةِ»

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ» لَمَّا كَانَ تَعْلِيمُهُ للنَّاسِ الْخَيْرَ سَبَبًا لِنَجَاتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ وَزَكَاةِ نُفُوسِهِمْ جَازَاهُ اللهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ بِأَنْ جَعَلَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاتِهِ وَصَلَاةِ مَلَائِكَتِهِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِهِ وَسَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ

=

(٢١٧١٥)، والدارمي (٣٥٤)، من حديث: أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠).

(١) «الترغيب والترهيب»: (١٣٠).

(٢) أخرجه البزار في «المسند»: (١٨/ ١٨٤، رقم ١٦٩)، وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٨٢).

(٣) «شرح السنة»: (١/ ٢٧٨).

(٤) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ١٦٩).

وَأَيْضًا: فَإِنَّ مُعَلِّمَ النَّاسِ الْخَيْرَ لَمَّا كَانَ مُظْهِرًا لِدِينِ الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ وَمُعَرِّفًا لَهُمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ جَعَلَ اللهُ مِنْ صَلَاتِهِ وَصَلَاةِ أَهْلِ سَمَاوَاتِهِ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ تَنْوِيهًا بِهِ وَتَشْرِيفًا لَهُ وإِظْهَارًا لِلثَّنَاءِ عَلَيْهِ بَينَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». (*).

*وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(٢)

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ(٣): قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا حَسَدَ**» الْحَسَدُ: تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَخَصَّهُ بَعْضُهُمْ بِأَنْ يَتَمَنَّىٰ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ وَالْحَقُّ أَنَّهُ أَعَمُّ وَسَبَبُهُ: أَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَىٰ حُبِّ التَّرَفُّعِ عَلَىٰ الْجِنْسِ فَإِذَا رَأَىٰ لِغَيْرِهِ مَا لَيْسَ لَهُ أَحَبَّ أَنْ يَزُولَ ذَلِكَ عَنْهُ لَهُ لِيَرْتَفِعَ عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا لِيُسَاوِيَهُ وَصَاحِبُهُ مَذْمُومٌ إِذَا عَمِلَ بِمُقْتَضَىٰ ذَلِكَ مِنْ تَصْمِيمٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَيَنْبَغِي لِمَنْ خَطَرَ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يَكْرَهَهُ كَمَا يَكْرَهُ مَا وُضِعَ فِي طَبْعِهِ مِنْ حب الْمَنْهِيَّاتِ وَاسْتَثْنَوْا مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا كَانَتِ النِّعْمَةُ لِكَافِرٍ أَوْ فَاسِقٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَىٰ مَعَاصِي اللهِ تَعَالَىٰ فَهَذَا حُكْمُ الْحَسَدِ بِحَسَبِ حَقِيقَتِهِ

وَأَمَّا الْحَسَدُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ: فَهُوَ الْغِبْطَةُ وَأَطْلَقَ الْحَسَدَ عَلَيْهَا مَجَازًا وَهِيَ: أَنْ يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ وَالْحِرْصُ عَلَىٰ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(فَضْلُ الْعِلْمِ) ص١٥٣-١٥٤

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ١٦٥، رقم ٧٣)، ومسلم: (١/ ٥٥٩، رقم ٨١٦).

(٣) «فتح الباري»: (١/ ١٦٦).

هَذَا يُسَمَّىٰ مُنَافَسَةً فَإِذا كَانَ فِي الطَّاعَةِ فَهُوَ مَحْمُود وَمِنْه ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]

وَإِنْ كَانَ فِي الْمَعْصِيَةِ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَمِنْهُ «**وَلَا تَنَافَسُوا**»

وَإِنْ كَانَ فِي الْجَائِزَاتِ فَهُوَ مُبَاحٌ فَكَأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: لَا غِبْطَةَ أَعْظَمُ أَوْ أَفْضَلُ مِنَ الْغِبْطَةِ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ

وَوَجْهُ الْحَصْرِ أَنَّ الطَّاعَاتِ إِمَّا بَدَنِيَّةٌ أَوْ مَالِيَّةٌ أَوْ كَائِنَةٌ عَنْهُمَا وَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ الْبَدَنِيَّةِ بِإِتْيَانِ الْحِكْمَةِ وَالْقَضَاءِ بِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَلَفظ حَدِيث بن عُمَرَ

«**رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**» وَالْمُرَادُ بِالْقِيَامِ بِهِ الْعَمَلُ بِهِ مُطْلَقًا أَعَمُّ مِنْ تِلَاوَتِهِ دَاخِلَ الصَّلَاةِ أَوْ خَارِجَهَا وَمِنْ تَعْلِيمِهِ وَالْحُكْمُ وَالْفَتْوَىٰ بِمُقْتَضَاهُ فَلَا تَخَالُفَ بَيْنَ لَفْظَيِ الْحَدِيثَيْنِ

وَيَجُوزُ حَمْلُ الْحَسَدِ فِي الْحَدِيثِ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ عَلَىٰ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ وَالتَّقْدِيرُ نَفْيُ الْحَسَدِ مُطْلَقًا لَكِنْ هَاتَانِ الْخَصْلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ وَلَا حَسَدَ فِيهِمَا فَلَا حَسَدَ أَصْلًا

قَوْلُهُ: «**إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**» كَذَا فِي مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ اثْنَتَيْنِ بِتَاءِ التَّأْنِيثِ أَيْ: لَا حَسَدَ مَحْمُودٌ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي خَصْلَتَيْنِ وَعَلَىٰ هَذَا فَقَوْلُهُ رَجُلٌ بِالرَّفْعِ وَالتَّقْدِيرُ خَصْلَةُ رَجُلٍ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ

قَوْلُهُ: «**مَالًا**»: نَكَّرَهُ لِيَشْمَلَ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ

قَوْلُهُ: «**فَسُلِّطَ**» وَعَبَّرَ بِالتَّسْلِيطِ لِدَلَالَتِهِ عَلَىٰ قَهْرِ النَّفْسِ الْمَجْبُولَةِ عَلَىٰ الشُّحِّ قَوْلُهُ هَلَكَتِهِ بِفَتْحِ اللَّامِ وَالْكَافِ أَيْ إِهْلَاكِهِ وَعَبَّرَ بِذَلِكَ لِيَدُلَّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا وَكَمَّلَه بِقَوْلِهِ فِي الْحَقِّ أَيْ فِي الطَّاعَاتِ لِيُزِيلَ عَنْهُ إِيهَامَ الْإِسْرَافِ الْمَذْمُومِ

قَوْلُهُ: «**الْحِكْمَةُ**»: اللَّامُ لِلْعَهْدِ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْقُرْآنُ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْحِكْمَةِ: كُلُّ مَا مَنَعَ مِنَ الْجَهْلِ وَزَجَرَ عَنِ الْقَبِيحِ»

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**»

قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحَسَدُ قِسْمَانِ حَقِيقِيٌّ وَمَجَازِيٌّ

فَالْحَقِيقِيُّ: تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْ صَاحِبِهَا وَهَذَا حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ مَعَ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ

وَأَمَّا الْمَجَازِيُّ فَهُوَ الْغِبْطَةُ وَهُوَ: أَنْ يَتَمَنَّىٰ مِثْلَ النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَانَتْ مُبَاحَةً وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ

وَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ: لَا غِبْطَةَ مَحْبُوبَةٌ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا

قَوْلُهُ ﷺ: «**آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» أَيْ سَاعَاتُهُ وَوَاحِدُهُ

قَوْلُهُ ﷺ: «**فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**» أَيْ إِنْفَاقِهِ فِي الطَّاعَاتِ

---

(١) شرح صحيح مسلم: (٦/ ٩٧).

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حكمة فهو يقضي بها يعلمها**» مَعْنَاهُ يَعْمَلُ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا احْتِسَابًا وَالْحِكْمَةُ كُلُّ مَا مَنَعَ مِنَ الْجَهْلِ وَزَجَرَ عَنِ الْقَبِيحِ»

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«**مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي (الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ)(١).(*).

ثَالِثًا: بَيَانُ فَضْلِ الْعِلْمِ مِنْ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ:

*ثَالِثًا: مِنْ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ:

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «كَفَىٰ بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لَا يُحْسِنُهُ، وَيَفْرَحَ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَكَفَىٰ بِالْجَهْلِ ذَمًّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ».

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ بَصِيرٍ بِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ»(٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله(٤): «وَوَجْهُ قَوْلِ عُمَرَ: أَنَّ هَذَا الْعَالِمَ يَهْدِمُ عَلَىٰ إِبْلِيسَ كُلَّ مَا يَبْنِيهِ، بِعِلْمِهِ وَإِرْشَادِهِ، وَأَمَّا الْعَابِدُ فَنَفْعُهُ مَقْصُورٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ».

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (٨/ ١١١-١١٢، رقم ٧٤٧٣)، وفي «مسند الشاميين»: (٤٢٣)، والحاكم: (١/ ٩١، رقم ٣١١)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٦/ ٩٧).
والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٤٥، رقم ٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(فَضْلُ الْعِلْمِ) ص١٦٠-١٦٣ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في الزوائده علىٰ «المسند»: (٢/ ٨١٣، رقم ٨٤٢)، بإسناد منقطع.

(٤) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٣٤١).

وَعَنْ كَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ قَالَ: «أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِيَدِي، فَأَخْرَجَنِي نَاحِيَةَ الْجَبَّانَةِ، فَلَمَّا أَصْحَرَ، تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَ يَا كَمِيلُ بْنَ زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا.

احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ وهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كَمِيلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ- وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَىٰ الْعَمَلِ-، الْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ»[1].

---

(١) أخرجه ابن عبد ربه في «العقد الفريد»: (٢/ ٨١)، وأبو بكر الأبهري في «الفوائد»: (ص ٣٢ - ٣٣، رقم ١٦)، والمعافىٰ بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي»: (ص ٥٨٤ و ٦٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»: (١/ ٧٩ - ٨٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه»: (١/ ١٨٢، رقم ١٧٦)، وفي «تاريخ بغداد»: (٦/ ٣٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٤/ ١٧ - ١٨) و (٥٠/ ٢٥٠ - ٢٥٥)، عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ:
أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَىٰ نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: «يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ، الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ،... » فذكره.
وذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وأهله»: (٢/ ٩٨٤ - ٩٨٥، رقم ١٨٧٨)، وقال: «وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ يُسْتَغْنَىٰ عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ»(١).

وَقَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ»(٢).(*).

*وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «لَمَّا كَانَ فِي الْقَلْبِ قُوَّتَانِ: قُوَّةُ الْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزِ، وَقُوَّةُ الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ، كَانَ كَمَالُهُ وَصَلَاحُهُ بِاسْتِعْمَالِ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَيَعُودُ عَلَيْهِ بِصَلَاحِهِ وَسَعَادَتِهِ.

فَكَمَالُهُ بِاسْتِعْمَالِ قُوَّةِ الْعِلْمِ فِي الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ، وَبِاسْتِعْمَالِ قُوَّةِ الْإِرَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَمَحَبَّتِهِ وَإِيثَارِهِ عَلَىٰ الْبَاطِلِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ الْحَقَّ فَهُوَ ضَالٌّ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَآثَرَ غَيْرَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَاتَّبَعَهُ فَهُوَ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ».

أَنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ غَزَالٍ(٥):

---

(١) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي»: (٢/ ١٣٩)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل»: (٢/ ٧٢٦، رقم ١٥٨١)، وفي «مناقب الشافعي»: (٢/ ١٣٨ و١٤٠)، بإسناد صحيح.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ(شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ)، (الْمُحَاضَرَةَ ٨) ثَانِيًا:تَتِمَّةُ بَيَانِ فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ثَالِثًا: مِنْ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ الثُّلَاثَاءَ ٢ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٢/ ١/ ٢٠١٦م

(٤) «إغاثة اللهفان»: (١/ ٣٥).

(٥) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧/ ٢٥٦، ترجمة ٤٣٣٠)

الْأَرْضُ تَحْيَا إِذَا مَا عَاشَ عَالِمُهَا ... مَتَىٰ يَمُتْ عَالِمٌ مِنْهَا يَمُتْ طَرَفُ

كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا الْغَيْثُ حَلَّ بِهَا ... وَإِنْ أَبَىٰ عَادَ فِي أَكْنَافِهَا التَّلَفُ

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «مَنْ نَالَ شَيْئًا مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة فَإِنَّمَا نَالَهُ بِالْعِلْمِ وَتَأَمَّلْ مَا حَصَلَ لِآدَمَ مِنْ تَمَيُّزِهِ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ وَاعْتِرَافِهِمْ لَهُ بِتَعْلِيمِ اللهِ لَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ مَا حَصَلَ لَهُ مِنْ تَدَارُكِ الْمُصِيبَةِ وَالتَّعْوِيضِ عَنْ سُكْنىٰ الْجَنَّةِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا بِعِلْمِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْ رَبِّهِ.

وَمَا حَصَلَ لِيُوسُفَ مِنَ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ وَالْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ بِعِلْمِهِ بِتَعْبِيرِ تِلْكَ الرُّؤْيَا ثُمَّ عِلْمِهِ بِوُجُوهِ اسْتِخْرَاجِ أَخِيهِ مِنْ إِخْوَتِهِ بِمَا يُقِرُّونَ وَيَحْكُمُونَ هُمْ بِهِ حَتَّىٰ آلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مَا آلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ وَالْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ وَكَمَالِ الْحَالِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا بِالْعِلْمِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهَا سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]

جَاءَ فِي تَفْسِيرِهَا: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نشَاءُ بِالْعِلْمِ كَمَا رَفَعْنَا دَرَجَةَ يُوسُفَ عَلَىٰ إِخْوَتِهِ بِالْعلمِ.

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [الأنعام:٨٣] فَهَذِهِ رِفْعَةٌ بِعِلْمِ الْحُجَّةِ وَالْأَوَّلُ رفْعَةٌ بِعِلْمِ السِّيَاسَةِ.

---

(١) «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٤٩٥-٤٩٧).

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِلْخُضْرِ بِسَبَبِ عِلْمِهِ مِنْ تَلْمَذَةِ كَلِيمِ الرَّحْمَنِ لَهُ وَتَلَطُّفِهِ مَعَه فِي السُّؤَالِ حَتَّىٰ قَالَ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِسُلَيْمَانَ مِنْ عِلْمِ مَنْطِقِ الطَّيْرِ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ مُلْكِ سَبَأٍ وَقَهَرَ مَلِكَتَهُمْ وَاحْتَوىٰ عَلَىٰ سَرِيرِ مُلْكِهَا وَدُخُولِهَا تَحْتَ طَاعَتِهِ وَلذَلِكَ قَالَ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل:١٦]

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِدَاوُدَ مِنْ عِلْمِهِ نَسْجَ الدُّرُوعِ مِنَ الْوِقَايَةِ مِنْ سلَاحِ الْأَعْدَاءِ وَعدَّدَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِهَذَا الْعِلْمِ علَىٰ عِبَادِهِ فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِلْمَسِيحِ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مَا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ إِلَيْهِ وَفَضَّلَهُ وَكَرَّمَهُ.

وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ بِهِ نعْمَةً عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].(*).

الْعِلْمُ أَغْلَىٰ وَأَحْلَىٰ مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ أُذْنٌ، وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ(فَضْلُ الْعِلْمِ)ص٢٣٠-٢٣٢

الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصْوَىٰ وَرُتْبَتُهُ الْـ ... عَلْيَاءُ فَاسْعَوْا إِلَيْهِ يَا أُولِي الْهِمَمِ
الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ ... للهِ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمِ
الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ ... أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْجُهَّالُ فِي الظُّلَمِ
الْعِلْمُ أَعْلَىٰ حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ، كَمَا ... أَهْلُ الْجَهَالَةِ أَمْوَاتٌ بِجَهْلِهِمِ[1](*)

❁ ❁ ❁

(١) الأبيات للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي (المتوفىٰ: ١٣٧٧) من «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» طبع ضمن مجموع رسائل ومنظومات الحكمي: ص ٣٧٩، من البيت (١٦) إلىٰ (٢٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (النَّصِيحَةُ) الْجُمُعَةَ ٦ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٢٤/ ٨/ ٢٠١٢م

بَيَانُ: مَا يَلْزَمُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْ آدَابٍ:

*ثُمَّ لَمَّا كَانَ الْعِلْمُ عِبَادَةَ الْقَلْبِ، وَسِرَّ حَيَاتِهِ، وَمَوْطِنَ قُوَّتِهِ، كَانَ لِزَامًا عَلَىٰ طَالِبِهِ أَنْ يُحَصِّلَ آدَابَهُ، وَأَنْ يَسْعَىٰ جَاهِدًا مُشَمِّرًا فِي اكْتِسَابِهَا وَإِلَّا سَارَ مُشَرِّقًا وَسَارَ الْعِلْمُ مُغَرِّبًا، وَكَانَا كَمَا قِيلَ:

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتُ مُغَرِّبًا شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

عَلَىٰ أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ إِلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْآدَابَ لَيْسَتْ آدَابًا كَأَيِّ آدَابٍ، تَحْصُلُ أَوْ لَا تَحْصُلُ وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ سَوَاءٌ، بَلْ مِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ حِينٍ، سَوَاءٌ كَانَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ أَوْ لَمْ يَكُنْ.

وَآدَابُ طَلَبِ الْعِلْمِ لَا تَنْفَكُّ عَنْ أَصْحَابِ الْعِلْمِ أَبَدًا لِأَنَّهَا مِمَّا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ وَأَرْشَدَتْ إِلَيْهِ.(*).

*وَالِاهْتِمَامُ بِآدَابِ الطَّلَبِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ، وَقَدْ أَدَّىٰ الْإِخْلَالُ بِهَا مِنْ قِبَلِ طُلَّابِ الْعِلْمِ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلَلِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ الْمُحَاضَرَةُ (١٠) الْأَرْبِعَاءَ ٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ١/ ٢٠١٦م

وَمَا الْخَلْطُ الْوَاقِعُ الْيَوْمَ إِلَّا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الطَّلَبِ بِغَيْرِ أدَبٍ، وَلَوْ أُحْكِمَتْ آدَابُ الطَّلَبِ لَارْتَفَعَ إِنْ شَاءَ اللهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعَنَتِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلَاءِ.

وَهَذِهِ الْآدَابُ مَعَ كَوْنِ جُمْلَتِهَا مَطْلُوبَةً مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا أَنَّهَا فِي حَقِّ طَالِبِ الْعِلْمِ آكَدُ، وَعَلَيْهِ أَوْجَبُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.(*).

مِنْ آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ: تَحْقِيقُ الْإِخْلَاصِ وَالْحَذَرِ مِنَ الرِّيَاءِ

وَمِمَّا يَلْزَمُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْ آدَابٍ: ❋

إِخْلَاصُ النِّيَّةِ للهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

لَمَّا كَانَ مِنْ مُقَرَّرَاتِ الشَّرْعِ وَمِنْ مُسَلَّمَاتِ الدِّينِ أَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَأُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ، فَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ عِظَمِ شَأْنِ النِّيَّةِ، وَوُجُوبِ تَخْلِيصِهَا مِمَّا قَدْ يَشُوبُهَا مِنْ شَوَائِبَ تُفْسِدُ الْقَصْدَ وَتُحْبِطُ الْعَمَلَ.

فَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ(٢): عَنْ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَىٰ المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ الْمُحَاضَرَةُ(١٠) الْأَرْبِعَاءَ ٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ١/ ٢٠١٦م

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٩، رقم ١)، ومسلم: (٣/ ١٥١٥، رقم ١٩٠٧)

وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ ومَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ عِظَمِ مَوْقِعِ هَذَا الْحَدِيثِ وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ وَصِحَّتِهِ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ وَآخَرُونَ: «هُوَ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ».

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ: «يَنْبَغِي لِمَنْ صَنَّفَ كِتَابًا أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَنْبِيهًا لِلطَّالِبِ عَلَىٰ تَصْحِيحِ النِّيَّةِ».(*).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ»: مَعْنَاهُ مَنْ قَصَدَ بِهِجْرَتِهِ وَجْهَ اللهِ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ وَمَنْ قَصَدَ بِهَا دُنْيَا أَوْ امْرَأَةً فَهِيَ حَظُّهُ وَلَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْهِجْرَةِ.(/٢).

*قَالَ ابْنُ جَمَاعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «حُسْنُ النِّيَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: أَنْ يُقْصَدَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعالَىٰ، وَالْعَمَلُ بِهِ وَإِحْيَاءُ الشَّرِيعَةِ وَتَنْوِيرُ قَلْبِهِ، وَتَحْلِيَةُ بَاطِنِهِ وَالْقُرْبُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالتَّعَرُّضُ لِمَا أَعَدَّ لِأَهْلِهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ».

---

(١) شرح صحيح مسلم: (١٣/ ٥٣ - ٥٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ الْمُحَاضَرَةَ(١٠) الْأَرْبِعَاءَ ٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ١/ ٢٠١٦م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ الْمُحَاضَرَةَ(١٠) الْأَرْبِعَاءَ ٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ١/ ٢٠١٦م

(٤) «تذكرة السامع والمتكلم»: (ص٣٥).

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي»(١).(*).

*فَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُصَحِّحَ نِيَّتَهُ فِي طَلَبِهِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا للهِ سَعْيُهُ وَبَذْلُهُ، وَعَنَاؤُهُ وَطَلَبُهُ، يَبْتَغِي عِنْدَ اللهِ الرِّضْوَانَ، وَيَرْجُو لَدَيْهِ الثَّوَابَ، لَا لِيَرْتَفِعَ بِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَيَعْلُو بِهِ فَوْقَ أَعْنَاقِهِمْ وَيَرْكَبُ بِهِ أَكْتَافَهُمْ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ**»(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي(صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ).(*/٢).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»: ٧/ ٥ و ٦٢، ترجمة سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ (٣٩٥)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي»: ١/ ٣١٧، رقم (٦٩٢)، بإسناد صحيح، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، قَالَ: «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي إِنَّهَا تَقَلَّبُ عَلَيَّ»، وفي لفظ: «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا قَطُّ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي، مَرَّةً عَلَيَّ وَمَرَّةً لِي».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ الْمُحَاضَرَةَ(١٠) الْأَرْبِعَاءَ ٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ١/ ٢٠١٦م

(٣) أخرجه ابن ماجه: (١/ ٩٣، رقم ٢٥٣).

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ١٥٤، رقم ١٠٩).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ الْمُحَاضَرَةُ(١٠) الْأَرْبِعَاءَ ٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ١/ ٢٠١٦م

*الْخَلَاصُ فِي الْإِخْلَاصِ وَإِنَّمَا يَتَعَثَّرُ مَنْ لَمْ يُخْلِصْ.(*).

التَّوَاضُعُ سِمَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ:

*وَفِي الصَّحِيحِ(٢): «**وَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا(٣) حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ(٤)، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ(٥)**»

«وَالتَّوَاضُعُ الْمَحْمُودُ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: تَوَاضُعُ الْعَبْدِ عِنْدَ أَمْرِ اللهِ امْتِثَالًا وَعِنْدَ نَهْيِهِ اجْتِنَابًا*

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: تَوَاضُعُهُ لِعَظَمَةِ الرَّبِّ وَجَلَالِهِ وَخُضُوعُهُ لِعِزَّتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ»(٦)(*/٢)

وَكِبْرِيَائِهِ»(٦)(*/٢)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) (الْخَاتِمَةُ) الْمُحَاضَرَةُ (٢٣) - الِاثْنَيْنِ ١٥ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٥/ ١/ ٢٠١٦م

(٢) «صحيح مسلم»: (٤/ ٢١٩٧ - ٢١٩٨، رقم ٢٨٦٥)، من حديث: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه.

(٣) «أَنْ تَوَاضَعُوا»، أَيْ: أَنْ أَقُولَ لَكُمْ تَوَاضَعُوا، والتَواضُعُ: التذلُّل، وهو مأخوذ من مادّة (وضع) الّتي تدلّ علىٰ الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

(٤) «حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ» بِفَتْحِ الْخَاءِ مِنَ الْفَخْرِ، وَهُوَ: ادِّعَاءُ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالشَّرَفِ، أَيْ: كَيْ لَا يَتَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ.

(٥) «وَلَا يَبْغِيَ» بِكَسْرِ الْغَيْنِ، أَيْ: وَلَا يَظْلِمُ.

وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْفَخْرَ وَالْبَغْيَ نَتِيجَتَا الْكِبْرِ ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ كُلِّ أَحَدٍ وَلَا يَنْقَادُ لِأَحَدٍ.

(٦) «الروح»: (ص ٢٣٤).

* وَقَدْ كَانَ إِمَامُ الْعُلَمَاءِ وَقُدْوَةُ السَّالِكِينَ وَأُسْوَةُ الْمُؤْمِنِينَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ تَوَاضُعًا عَلَىٰ عُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ.

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سُئِلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٢)

وَعَنْ أَبِي رِفَاعَةَ تَمِيمِ بْنِ أُسَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «انْتَهَيْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَىٰ خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣). (*).

الْحِرْصُ عَلَى التَّعَلُّمِ وَعَدَمُ تَضْيِيعِ الْوَقْتِ:

=

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) (آفَاتُ الْعِلْمِ) الْمُحَاضَرَةَ (١٦) - الثُّلَاثَاءَ ٩ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٩/ ١/ ٢٠١٦م

(٢) أخرجه البخاري: (١٠/ ٤٦١، رقم ٦٠٣٩).

(٣) أخرجه مسلم: (٢/ ٥٩٧، رقم ٨٧٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) (آفَاتُ الْعِلْمِ): (الْكِبْرُ وَالْعُجْبُ) الْمُحَاضَرَةُ (١٧) الثُّلَاثَاءَ ٩ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٩/ ١/ ٢٠١٦م

*عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «فِي الْحَدِيثِ فَضْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفَضْلُ الْحِرْصِ عَلَىٰ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ».

وَالْحِرْصُ عَلَىٰ الطَّلَبِ سِمَةُ الصِّدْقِ فِيهِ، وَعَلَامَةٌ فَارِقَةٌ بَيْنَ طَالِبِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالدَّخِيلِ عَلَىٰ الْعِلْمِ الْمُلْصَقِ بِهِ.(*).

*وَعَلَىٰ الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ وَمَهْمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرِّئَاسَةِ وَالْجَاهِ وَقَانُونِ الْعُلَمَاءِ فِي الطَّلَبِ هُوَ: مَعَ الْمِحْبَرَةِ إِلَىٰ الْمَقْبَرَةِ، وَالْعِلْمِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَىٰ اللَّحْدِ

وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: إِلَىٰ مَتَىٰ تَطْلُبُ الْعِلْمَ؟

قَالَ حَتَّىٰ الْمَمَاتِ إِنْ شَاءَ اللهُ وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي تَنْفَعُنِي لَمْ أَكْتُبْهَا بَعْدُ.

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١٩٢، رقم ٩٩) و(١١/ ٤١٨، رقم ٦٥٧٠).

(٢) «فتح الباري»: (١/ ١٩٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) ثَانِيًا (طَرَائِقُ التَّحْصِيلِ) الْمُحَاضَرَةُ (١٤) الْأَحَدَ ٧ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ١/ ٢٠١٦م

قَالَ الرَّبِيعُ تِلْمِيذُ الشَّافِعِيِّ: لَمْ أَرَ الشَّافِعِيَّ آكِلًا بِالنَّهَارِ وَلَا نَائِمًا بِلَيْلٍ، لِاهْتِمَامِهِ بِالتَّصْنِيفِ.

وَعَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَرْحَلُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ.(*).

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ وَقَدْ أَحْسَنَ *

لَا يُـدْرِكُ الْعِلْـمَ إِلَّا كُـلُّ مُشْـتَغِلٍ بِالْعِلْمِ هِمَّتُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ(*/٢)

*وَتَأَمَّلْ فِي حَالِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ الْبِيكُنْدِيِّ وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ.

كَانَ فِي حَالِ الطَّلَبِ جَالِسًا فِي مَجْلِسِ الْإِمْلَاءِ وَالشَّيْخُ يُحَدِّثُ وَيُمْلِي وَالطُّلَّابُ كَانُوا يَكْتُبُونَ، كَانُوا يَكْتُبُونَ بِأَقْلَامٍ قَدِ اتُّخِذَتْ مِنَ الْغَابِ وَمَا أَشْبَهَ تُبْرَىٰ بَرْيًا فَرُبَّمَا حُفِيَ الْقَلَمُ، وَيَكْتُبُونَ عَلَىٰ أَوْرَاقٍ وَتُصِيبُهُمْ الْآفَاتُ وَعِنْدَهُمْ الْمِدَادُ فِي أَدْوِيَتِهِمْ.

فَلَمَّا انْكَسَرَ قَلَمُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَّامٍ أَمَرَ مُنَادِيًا بِأَنْ يُنَادِيَ قَلَمٌ بِدِينَارٍ، دِينَارٌ كَانَ يَشْتَرِي ضَيْعَةً -قَلَمٌ بِدِينَارٍ- فَتَطَايَرَتْ إِلَيْهِ الْأَقْلَامُ، لَا قِيمَةَ لِلْمَالِ، إِذَا فَاتَ لَفْظُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ ثَانِيًا: طَرَائِقُ التَّحْصِيلِ الْمُحَاضَرَةُ (١٣) السَّبْتَ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٦/ ١/ ٢٠١٦م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) ثَانِيًا: طَرَائِقُ التَّحْصِيلِ الْمُحَاضَرَةُ (١٤) الْأَحَدَ ٧ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٧/ ١/ ٢٠١٦م

الْمُحَدِّثِ فَلَمْ تُدْرِكْهُ، لَا قِيمَةَ لِلْمَالِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ شَرَفَ الزَّمَانِ وَقَدْرَ الْعِلْمِ وَيُحَقِّقُ الْإِنْسَانُ قِيمَتَهُ فِي الْوُجُودِ بِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.(*/٣).

تَوْقِيرُ الْمُتَعَلِّمِ لِلْمُعَلِّمِ:

*وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يُعَظِّمُونَ مَنْ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمْ تَعْظِيمًا شَدِيدًا وَآثَارُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَاهِدَةٌ عَلَىٰ آدَابِهِمْ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ وَعَلَىٰ تَوْقِيرِهِمْ لِمُعَلِّمِيهِمْ.

وَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَنْظُرَ لِشَيْخِهِ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَىٰ نَفْعِهِ بِهِ وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا ذَهَبَ إِلَىٰ شَيْخِهِ تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَيْبَ شَيْخِي عَنِّي وَلَا تَذْهَبْ بَرَكَةُ عِلْمِهِ مِنِّي».

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُنْتُ أُصْفِحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ صَفْحًا رَقِيقًا هَيْبَةً لَهُ لِئَلَّا يَسْمَعَ وَقْعَهَا».

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ- رَحِمَهُمَا اللهُ-: «وَاللهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ والشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ».

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لِخَلَفٍ الْأَحْمَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا أَقْعُدُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ أُمِرْنَا أَنْ نَتَوَاضَعَ لِمَنْ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ».(*).

(*/٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ (قِيمَةُ الْوَقْتِ عِنْدَ الْمُسْلِمِ٤/ ٢) الْجُمُعَةَ ٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣١هـ الْمُوَافِقَ ١٣/ ٨/ ٢٠١٠م

❁ ❁ ❁

=

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) بَيَانُ: آدَابِ طَالِبِ الْعِلْمِ (الْتِزَامُ الْأَدَبِ التَّامِّ مَعَ شَيْخِهِ وَقُدْوَتِهِ) الْمَحُاضَرَةُ (١١) الْخَمِيسَ ٤ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ١٤/ ١/ ٢٠١٦م

خُطُورَةُ الْفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ:

وَيَنْبَغِي عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسْنَدَ الْقَتْلَ إِلَى مَن تَسَبَّبَ فِي قَتْلِ إِنْسَانٍ بِسَبَبِ فَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ:

*رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ(١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَىٰ الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ.

قَالَ جابرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ»

فقَالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ(٢) السُّؤَالُ**».

الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبَيْهَقِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ.

---

(١) «السنن»: (١/ ٩٣، رقم ٣٣٦).

والحديث حسنه لغيره الألباني في هامش «مشكاة المصابيح»: (١/ ١٦٥ - ١٦٦، رقم ٥٣١ و ٥٣٢)، وفي «الثمر المستطاب»: (ص ٣٢ - ٣٣).

(٢) «العِيّ» بكسر العين وتشديد الياء، أي: الجهل.

وَهَذَا القَدْرُ مِنَ الْحَدِيثِ مِنْ رِوَايَةِ جَابِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ

«قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، هلَّا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»

الشَّجَّةُ: هِيَ الْجِرَاحَةُ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ خَاصَّةً.

وَاحْتَلَمَ: أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ، فَخَافَ أَنْ يَغْتَسِلَ فَيَضَرَّهُ؛

فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: هَلْ تَعْلَمُونَ حُكْمًا سَهْلًا يُبِيحُ لِي التَّيَمُّمَ مَعَ وُجُودِ الْمَاءِ مَعَ مَا بِي مِنَ الجرْحِ؟

فَقَالُوا: لَا نَعْلَمُ لَكَ رُخْصَةً، مُعْتَقِدِينَ أَنَّ عَدَمَ وجُودِ الْمَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ [النساء: ٤٣] عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، ولَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْعَاجِزَ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ لِمَرَضٍ أَوْ نَحْوِهِ؛ يُعَدُّ فَاقِدًا لَهُ حُكْمًا.

«قَتَلُوهُ»: أَسْنَدَ القَتْلَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَلَّفُوهُ بِاسْتِعْمَالِ المَاءِ مَعَ إِصَابَتِهِ، فَكَانَ سَبَبًا لِمَوْتِه.

«قَتَلَهُمُ اللهُ»: زَجْرًا لَهُمْ وتَنْفِيرًا مِنْ فِعْلِهِمْ، وَلَيْسَ قَصْدًا لِلْحَقِيقَةِ.

أَلَا-حَرْفُ تَحْضِيضٍ- سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ.

«والعيُّ»: التَّحَيُّرُ فِي الْكَلَامِ وَعَدَمُ الضَّبْطِ، وَالْمُرَادُ هَا هُنَا الْجَهْلُ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ وشِفَاؤُهُ السُّؤَالُ وَالتَّعَلُّمُ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: أَصَابَ رَجُلًا جُرحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ احْتَلَمَ، فأُمِرَ بالِاغْتِسَالِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقَالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُم اللهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ العِيِّ السُّؤال**»(١) وَهَذَا أَيْضًا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَهْلَ دَاءً، وَجَعَلَ دَوَاءَهُ سُؤَالَ الْعُلَمَاءِ، كَمَا أَخْبَرَ ﷺ فِي حَدِيثِهِ الْآخَرِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الطِّبِّ مِنْ صَحِيحِهِ(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَا أَنْزَلَ اللهُ داءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً».

وَقَدْ جَعَلَ النبيُّ ﷺ الْجَهْلَ دَاءً، وَجَعَلَ شِفَاءَهُ السُّؤَالَ.(*).

الْقَوْلُ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ:

*إِنَّ عَامَّةَ مَا تُعَانِي مِنْهُ الْأُمَّةُ الْيَوْمَ؛ إِنَّمَا هُوَ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ: (الْقَوْلُ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ)، لَقَدْ صَارَ الْأَمْرُ فَوْضَىٰ، وَصَارَ النَّاسُ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ، لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ،

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: (١/ ٩٣، رقم ٣٣٧)، وابن ماجه في «السنن»: (١/ رقم ٥٧٢)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ (ض ٢).
والحديث حسنه لغيره في «إرواء الغليل»: (١/ ١٤٢ - ١٤٣، رقم ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري: (١٠/ ١٣٤، رقم ٥٦٧٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والحديث بنحوه في «صحيح مسلم»: (٤/ ١٧٢٩، رقم ٢٢٠٤)، من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ(الرَّدُّ عَلَىٰ شُبُهَاتِ أَنْصَارِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) الْجُمُعَةَ ٢٨ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقَ ٢١/ ١١/ ٢٠١٤م

وَلَا يَدْرُونَ إِلَيْهِ سَبِيلًا؛ لِاخْتِلَاطِ الْأُمُورِ وَكَثْرَةِ الْفَتَاوَىٰ فِي مُعْتَرَكٍ هَائِجٍ تَنُوحُ فِيهِ الْعَوَاصِفُ النَّائِحَاتُ، لَا يَهْدَأُ زَئِيرُهَا، كَأَنَّهُ زَزِيمُ الْجِنِّ.

فَالنَّاسُ فِي حَيْرَةٍ، لَا يَكَادُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَتَلَمَّسُ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا يخُطُّ فِيهِ بِقَدَمَيْهِ سَبِيلًا؛ لِكَثْرَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ، الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللهِ -رَبِّ الْعَالَمِينَ-.

وَمِنْ عَجَبٍ؛ أَنَّكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْعَلْمَانِيِّينَ وَمِنَ الْإِعْلَامِيِّينَ الْفَاسِدِينَ، وَكَذَلِكَ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ وَالْفَنَّانِينَ، تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ يَعِيبُ عَلَىٰ أَهْلِ التَّخَصُّصِ فِي الدِّينِ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِي الدِّينِ، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي الدِّينِ، فَيَتَكَلَّمُونَ هُمْ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا يَقُولُونَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ.

كُلُّ هَذَا لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ أَنَّهُمْ وَقَعُوا فِي أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ تَحْرِيمًا، هَانَتْ عَلَيْهِمْ عَقِيدَتُهُمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ وَإِسْلَامُهُمْ، وَهُمْ يَخْبِطُونَ فِي كُلِّ وَادٍ؛ خَبْطَ الْعَمْيَاءِ لَا الْعَشْوَاءِ.

النَّاسُ يتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي حَقِيقَتِهِ، فَإِنَّ سُحْنُونَ؛ قَدْ جَلَسَ نَاحِيَةً يَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟

قَالَ: «وَقَعَ الْيَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وفُتِقَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْقٌ كَبِيرٌ، سُئِلَ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ عَنْ أَمْرٍ مِنْ دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا»

فَعَدَّ هَذَا بِدَايَةَ الِانْحِرَافِ؛ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الدِّينِ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِلتَّكَلُّمِ فِي الدِّينِ، لَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ لَاسْتَرَاحَ الْعَالِمُ.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْبِطُونَ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا يَنْسِفُونَ الْأُصُولَ وَيُزِيلُونَ الثَّوَابِتَ؛ يُزِيلُونَهَا نَسْفًا لَا تَحْرِيكًا؛ لِأَنَّهَا لَوْ حُرِّكَتْ عَنْ مَنَازِلِهَا -أَعْنِي الثَّوَابِتَ-؛ لَبِقِيَتْ قَائِمَةً، فيُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِرَّ عَلَىٰ قَرَارٍ فِي نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ، ولَكِنَّهُمْ يَنْسِفُونَهَا نَسْفًا.

الْمَلَائِكَةُ المُكَرَّمُونَ لَمْ يَسْتَحُوا أَنْ يَقُولُوا لِمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ: لَا نَعْلَمُهُ، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وَأَقرُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِعَدَمِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجِبْرِيلُ عليه السلام يَقُولَانِ: لَا نَدْرِي فِي سُؤَالٍ يَبْدُو يَسِيرًا، فَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا السُّؤَالَ: مَا شَرُّ الْبُلْدَانِ؟

قَالَ: «لَا أَدْرِي»

الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَا أَدْرِي حَتَّىٰ أَسْأَلَ جِبْرِيلَ»

فَلَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ؛ مَا شَرُّ الْبُلْدَانِ؟»

قَالَ جِبْرِيلُ: لَا أَدْرِي حَتَّىٰ أَسْأَلَ رَبِّي.

فَسَأَلَ اللهَ جَلَّوَعَلَا ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، سَأَلْتَنِي: مَا شَرُّ الْبُلْدَانِ، فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي حَتَّىٰ أَسْأَلَ رَبِّي، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي؛ فَقَالَ: شَرُّ الْبُلْدَانِ أَسْوَاقُهَا(١).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/ ٨١، رقم ١٦٧٤٤)، والبزار في «المسند»: (٨/ ٣٥٢ =

مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ «أَسْوَاقُهَا»؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ: لَا أَدْرِي، وَقَالَ جِبْرِيلُ: لَا أَدْرِي.

وَأَمَّا هَذَا الغُثَاءُ، هَذَا الْهَبَاءُ، فَإِنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَبْطًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَنْسُبُونَ إِلَىٰ اللهِ -رَبِّ الْعَالَمِينَ- مَا هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ، وَيَنْسُبُونَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مَا هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ.

يُكَذِّبونَ سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ، يَقَعُونَ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّنا ﷺ؛ يَبْدَءُونَ بِمُعَاوِيَةَ وَمُعَاوِيَةُ هُوَ سِتْرُ الْأَصْحَابِ، فَإِذَا هُتِكَ السِّتْرُ؛ وَصَلُوا إِلَىٰ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

=

- ٣٥٤، رقم ٣٤٣٠ و ٣٤٣١)، وأبو يعلىٰ في «المسند»: (١٣/ ٤٠٠، رقم ٧٤٠٣)، والطبراني في «المعجم الكبير»: (٢/ ١٢٨، رقم ١٥٤٥ و ١٥٤٦)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٨٩ - ٩٠)، من حديث: جُبير بنِ مُطعِم رضي الله عنه.

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وحسن إسناده وصحح متنه لشواهده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩، رقم ٣٢٥)، وروي عن ابن عمر، مرفوعا، بنحوه.

والحديث بدون قصة السؤال عند مسلم في «الصحيح»: (١/ ٤٦٤، رقم ٦٧١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَىٰ اللهِ أَسْوَاقُهَا».

يَتَكَلَّمُونَ فِي عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه وَعَمْرٌو خَاصَّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ أَهْلِ مِصْرَ؛ لَهُ فِي عُنُقِ كُلِّ مِصْرِيٍّ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ مِنَّةٌ مَمْنُونَةٌ وَجَمِيلٌ لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبًا فِي فَتْحِ مِصْرَ، فَمَا مِنْ مِصْرِيٍّ يَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً أَوْ يَتْلُو للهِ آيَةً أَوْ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللهِ –رَبِّ الْعَالَمِينَ– بِقُربَةٍ؛ فَيُحَصِّلُ أَجْرًا وَيَنَالُ ثَوَابًا؛ إِلَّا وَلِعَمْرٍو رضي الله عنه مِثْلُ ثَوَابِهِ ومِثْلُ عَطَائِهِ وَفَضْلِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبًا فِي فَتْحِ هَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ.

فَهُمْ يَعْتَدُونَ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ وَيَنْسِفُونَ أَقْوَالَ الْأَئِمَّةِ وَيَتَكَلَّمُونَ، لَا يَسْتَطِيعُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي كِتَابٍ عَرَبِيٍّ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ فَرَّخَ فِي أَذْهَانِهِمْ وَعُقُولِهِمْ بَعْدَمَا بَاضَ، بَعْدَمَا بَاضَ الْغَرْبُ فِيهِمْ –فِي عُقُولِهِمْ، فَرَّخَ الشَّيْطَانُ فِي تِلْكَ الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ، وَلَا تَجِدُ أُمَّةً عَلَىٰ ظَهْرِ الْأَرْضِ؛ يَحْتَقِرُ أَبْنَاؤُهَا تُرَاثَهَا وَيُرِيدُونَ نَسْفَهُ سِوَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

الْيَهُودُ وَكَانُوا شَرَاذِمَ مُتَفَرِّقِينَ فِي بِلَادِ اللهِ –رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَرَجَعُوا مِنَ الشَّتَاتِ إِلَىٰ أَرْضِ الْمِيعَادِ بِزَعْمِهِم، فَصَارَتْ اللُّغَةُ الْعِبْرِيَّةُ، وَهِيَ لُغَةٌ مَيِّتَةٌ؛ صَارَتْ لُغَةً يُصَنَّفُ بِهَا فِي الذَّرَّةِ وَمَا وَرَاءَ الذَّرَّةِ، وَيُصَنَّفُ بِهَا فِي الْأَدَبِ، وَتَنَالُ الْمُصَنَّفَاتُ الْأَدَبِيَّةُ الَّتِي كُتِبَتْ بِالْعِبْرِيَّةِ الْجَوَائِزَ الْعَالَمِيَّةَ.

صَارَتْ لُغَةً يُدَرَّسُ بِهَا الْعِلْمُ كُلُّهُ فِي جَمِيعِ فُرُوعِهِ مِنْ مَادِّيٍّ وأَدَبِيٍّ وَسُلُوكِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ، يُدَرَّسُ بِهَا الْعِلْمُ فِي الْجَامِعَاتِ الْعِبْرِيَّةِ، بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، وَهِيَ لُغَةٌ مَيِّتَةٌ.

وَأَمَّا اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ؛ فَيَحْتَقِرُهَا أَهْلُهَا، وَتَرَىٰ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا قِيلَ: إِنَّهُ مُسْلِمٌ فِي مُجْتَمَعٍ أَرُسْتُقْرَاطِيٍّ، كَأَنَّمَا لَدَغَتْهُ حَيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ صَارَ مِمَّا يُعَابُ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَكَذَا الْعَرَبِيَّةُ وَالتُّرَاثُ.

أَيُّها الْمُسْلِمُونَ:

أَمسِكُوا أَلْسِنَتَكُم -يَرْحَمُكُم اللهُ-، كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ، لَا تَتَكَلَّمُوا إِلَّا فِيمَا تُحْسِنُونَ، «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ فَلْيَقُل خَيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١). (*).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: (١٠/ ٤٤٥، رقم ٦٠١٨)، ومسلم: (١/ ٦٨، رقم ٤٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الدَّعْوَىٰ فِي الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ) الْجُمُعَةَ ١ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٨/ ٤/ ٢٠١٦م

الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ:

*وثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يُثْمِرُ عَمَلًا - فِي الْقَلْبِ أَوْ الْجَوَارِحِ- فَهُوَ عِلْمٌ يُلْزِمُ صَاحِبَهُ الْحُجَّةَ أَمَامَ اللهِ ﷻ

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ(١): «قَالَ أَبُو قِلَابَةَ لِأَيُّوبَ: يَا أَيُّوبُ إِذَا أَحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ النَّاسَ».

قَالَ الْخَطِيبُ(٢): ثُمَّ إِنِّي مُوصِيكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي طَلَبِهِ وَإِجْهَادِ النَّفْسِ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِمُوجِبِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ، وَالْعَمَلُ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِهِ عَامِلًا.

وَقِيلَ: الْعِلْمُ وَالِدٌ، وَالْعَمَلُ مَوْلُودٌ وَالْعِلْمُ مَعَ الْعَمَلِ وَالرِّوَايَةِ مَعَ الدِّرَايَةِ فَلَا تَأْنَسْ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ وَلَا تَأْنَسْ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي

---

(١) «تاريخ الإسلام»: (٣/ ١٩٥)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»: (٢/ ٢٨٢-٢٨٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٦٥٣-٦٥٤، رقم ١١٣٤)، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل»: (ص٣٤، رقم ٣٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٢٨/ ٣٠٦).

(٢) «اقتضاء العلم العمل»: (ص١٤).

الْعَمَلِ وَلَكِنِ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا وَإِنْ كُنْتَ مُقَصِّرًا فِيهِمَا، وَمَا شَيْءٌ أَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسُ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ وَجَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسُ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ (شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ) (الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ) الْمُحَاضَرَةُ (٢١) السَّبْتَ ١٣ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٣/ ١/ ٢٠١٦م

الْعِلْمُ الصَّحِيحُ:

*فَالْعِلْمُ الصَّحِيحُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ وَحَيَاةِ الْقَلْبِ وَطِيبِ الْعَيْشِ شَرِيطَةَ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ الْمَوْرُوثُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي تَعْرِيفِهِ وَأَحْسَنَ وَأَجَادَ

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بِالْهَذَيَانِ

مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ قَوْلِ فُلَانِ(١)(*)

وَالْعِلْمُ مَا أَوْرَثَكَ الْخَشْيَةَ، فَالْعِلْمُ الْخَشْيَةُ، وَكُلُّ عِلْمٍ لَا يُثْمِرُ خَشْيَةً فَلَيْسَ بِعِلْمٍ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، الْعِلْمُ يُطَامِنُ مِنَ النَّفْسِ، وَيَذِلُّ الْقَلْبُ لِلرَّبِّ جَلَّوَعَلَا.(/٢).

---

(١) البيتان ذكرهما ابن القيم في «الفوائد»: (ص ١٠٥)، من غير نسبة، وأعاد صياغتهما باختلاف في قصيدته النونية المسماة بـ «الكافية الشافية»: (ص ٧٦٣، البيت ٣٥٩٤ و ٣٥٩٥)، فقال:

(العلم قال الله قال رسوله... قال الصحابة هم ذُوو العرفان)

(ما العلم نصبك للخلاف سفاهة... بين الرسول وبين رأي فلان)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ شَرْحُ فَضْلِ الْعِلْمِ (الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ) الْخَاتِمَةُ الْمُحَاضَرَةُ (٢٣) الِاثْنَيْنِ ١٥ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقَ ٢٥/ ١/ ٢٠١٦م

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (لَا تَأْمَنْ أَهْلَ زَمَانِكَ) الْجُمُعَةَ ١٠ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٤هـ الْمُوَافِقَ ٢٢/ ٣/ ٢٠١٣م

نَصِيحَةٌ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ:

*فَيَا طُلَّابَ الْعِلْمِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ إِنَّمَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ لِلْعَمَلِ وَأَتْبِعِ الْعِلْمَ بِالْأَعْمَالِ وَادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالتِّبْيَانِ وَالحِكَمِ

فَاسْتَعِينُوا بِاللهِ تَعَالَىٰ وَاصْبِرُوا، وَأَخْلِصُوا نِيَّاتِكُمْ فِي طَلَبِكُمْ، وَخُذُوا بِالْجِدِّ وَطَلَبِ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَدَعُوا سَفْسَافَهَا؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ تِلْكَ وَيَكْرَهُ هَذِهِ، قَالَ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»(١)

---

(١) أخرج الترمذي في «الجامع»: (٥/ ١١١، رقم ٢٧٩٩ م) مختصرا، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» ضمن موسوعته الحديثية: (٦/ ٧٠ - ٧١، رقم ٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٤/ ٢٨٨ - ٢٨٩، ترجمة ١٥٨٥) واللفظ له، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَدَةَ، يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».

وفي رواية: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ،... »، وفي أخرىٰ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ».

=

أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَكَذا وَافَقَهُمَا الْأَلْبَانِيُّ.

وَاخْزِنُوا أَلْسِنَتَكُمْ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ، وَأَدْمِنُوا ذِكْرَ اللهِ رَبِّكُمْ، وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَعَمَلًا وَدَعْوَةً وَتَذَكُّرًا، وَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْخِلَافِ وَالشِّقَاقِ، وَالْخِصَامِ وَالْمِرَاءِ، فَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا شَغَلَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْآفَاتِ لَا يَأْتِي مِنْهُ خَيْرٌ؛ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «إِذَا كَانَ نَهَارِي نَهَارَ سَفِيهٍ، وَلَيْلِي لَيْلَ جَاهِلٍ؛ فَمَا أَصْنَعُ بِالْعِلْمِ الَّذِي كَتَبْتُ؟»

وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ:«إِنْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَىٰ ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَزُهْدِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَطْلُبُ الْبَابَ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ، فَيَعْمَلُ بِهِ، فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ كَانَتْ لَهُ فَجَعَلَهَا فِي الْآخِرَةِ»

يَا طُلَّابَ الْعِلْمِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَلْتُعْرَفُوا بِصَمْتِكُمْ إِذَا ثَرْثَرَ النَّاسُ، وَبِجِدِّكُمْ إِذَا هَزَلَ النَّاسُ، وَبِلَيْلِكُمْ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ، وَبِإِقْبَالِكُمْ إِذَا أَدْبَرَ النَّاسُ، وَإِذَا انْشَغَلَ النَّاسُ بِكُمْ فَانْشَغِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ، وَإِذَا غَفَلَ النَّاسُ عَنْ عُيُوبِهِمْ وَعَابُوا

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، والحديث حسنه الألباني في هامش «مشكاة المصابيح»: (٢/ ١٢٧١ - ١٢٧٢، رقم ٤٤٨٧)، وروي أيضا عن سهل بن سعد وجابر والحسن بن علي رضي الله عنهم، وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيزٍ الْخُزَاعِيِّ مرسلا، بنحوه.

صَوَابَكُمْ وَهَاجَمُوا رُشْدَكُمْ فَانْشَغِلُوا بِعُيُوبِكُمْ، وَافْزَعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ هَادِيًا وَنَصِيرًا

وَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ سَبَقْتُمْ وَتَخَلَّفُوا، وَتَقَدَّمْتُمْ وَتَأَخَّرُوا

وَاللهَ تَعَالَىٰ أَسْأَلُ أَنْ يُبَارِكَ فِيكُمْ وَفِي سَعْيِكُمْ، وَأَنْ يُعَلِّمَنِي وَإِيَّاكُمْ مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ(كَلِمَةِ الشَّيْخِ رَسْلَان لِطُلَّابِ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ) لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ ١٦ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣٨هـ الْمُوَافِقَ ١٠/ ٧/ ٢٠١٧م

الْإِسْلَامُ دِينُ اعْتِدَالٍ وَتَوَازُنٍ:

عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ: الِاعْتِدَالُ وَالتَّوَازُنُ،

* وَدِينُ اللهِ تَعَالَىٰ وَسَطٌ بَيْنَ الجَافِي عَنْهُ وَالغَالِي فِيهِ، كَالوَادِي بَيْنَ جَبَلَينِ، والهُدَىٰ بَيْنَ ضَلَالَتَينِ، وَالوَسَطِ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ذَمِيمَيْنِ.

وَكَمَا أَنَّ الجَافِي عَنِ الأَمْرِ مُضَيِّعٌ لَهُ، فَالغَالِي فِيهِ مُضَيِّعٌ لَهُ، هٰذَا بِتَقْصِيرِهِ عَنِ الحَدِّ، وهَذَا بِتَجَاوُزِهِ الحَدَّ وخير الهدي هدي محمد ﷺ.(*).

وَمِنْ هَدْيِهِ: أَنَّهُ ﷺ*«مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْه»(٢)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (الشِّيعَةُ وَالْحِلْمُ الْيَهُودِيُّ)الْجُمُعَةَ ١٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٢٩هـ الْمُوَافِقَ ٢٣/ ٥/ ٢٠٠٨م

(٢) أخرجه البخاري: (٦/ ٥٦٦، رقم ٣٥٦٠)، ومسلم: (٤/ ١٨١٣ - ١٨١٤، رقم ٢٣٢٧)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

وفي رواية لهما زيادة: «...، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ عز وجل».

وَقَدْ حمَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ التَّيْسِيرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»**(١).(*).

نَهَى الرَّسُولُ ﷺ عَنِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ:

وَمِنْ أَجْلِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى تِلْكَ الْوَسَطِيَّةِ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ جَمِيعِ مَظَاهِرِ الْغُلُوِّ وَخَاصَّةً الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ:

* وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ، وَهُوَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ: **«هَاتِ، الْقُطْ لِي**

فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَىٰ الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(٣).(*/٢).

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٩٣، رقم ٣٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (أَهْلُ الْقِبْلَةِ) الْجُمُعَةَ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِق ٢٠/ ٥/ ٢٠١٦م

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ»: (٥/ ٢٦٨-٢٦٩، رقم ٣٠٥٧ و ٣٠٥٩)، وابن ماجه في «السنن»: (٢/ ١٠٠٨، رقم ٣٠٢٩).

والحديث صحح إسناده الألباني في «الصحيحة»: (٥/ ١٧٧، رقم ٢١٤٤).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ كِتَابِ (دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ) الْمُحَاضَرَةَ ١٢ الْأَرْبِعَاءَ ٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٠هـ الْمُوَافِق ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٩م

خَاتِمَةٌ

عِبَادَ اللهِ:

*لَقَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ فِيهَا النُّورُ وَالْهُدَىٰ، وَفِيهَا الْعَفَافُ وَالْعِفَّةُ، وَكَانَ النَّاسُ قَبْلَ ذَلِكَ كَالْحُمُرِ يتَسَافَدُونَ، تَخْتَلِطُ أَنْسَابُهُمْ، وَلَا يُرَاعُونَ فِي أَحَدٍ عِرْضًا وَلَا حُرْمَةً، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ، ويَأْدِونَ الْبَنَاتِ، وَيَجُورُونَ وَيَظْلِمُونَ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كلِّهِ أَنَّهُمْ كَانُوا بِاللهِ يَكْفُرُونَ، وَكَانُوا بِالْإِلَهِ الْحَقِّ يُشْرِكُونَ، فَأَخْرَجَهُمْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الْمُتكَاثِفَاتِ كُلِّهَا بِمَقْدَمِ الرَّسُولِ ﷺ.(*).

❁ ❁ ❁

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ (نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ) الْجُمُعَةَ ٥ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٣هـ الْمُوَافِقَ ٢١/ ٩/ ٢٠١٢م

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ ٣
شَرَفُ الْعِلْمِ وَفَضْلُهُ ٤
بَيَانُ رِفْعَةِ شَأْنِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ٩
بَيَانُ: مَا يَلْزَمُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْ آدَابٍ ٤١
خُطُورَةُ الْفَتْوَىٰ بِغَيْرِ عِلْمٍ ٥٠
الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ ٥٨
الْعِلْمُ الصَّحِيحُ ٦٠
نَصِيحَةٌ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ٦١
الْإِسْلَامُ دِينُ اعْتِدَالٍ وَتَوَازُنٍ ٦٤
خَاتِمَةٌ ٦٦
الْفِهْرِسُ ٦٧

❁ ❁ ❁